

فتح الرب الغني
بنوضيح شرح السنة للمزني

حقوق الطبع محفوظة
لـ «دار المنهاج»

الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ١١١٨١/٢٠٠٩ م



جمهورية مصر العربية- شارع الهدي المحمدي - أحمد عرابي -
مساكن عين شمس

E-mail: Manart-aslam@hotmail.com

E-mail: Manart.aslam@yahoo.com

جوال: ٠١٢٠٥٥٤٠٤٢٢ - ٠١١٤١١٤٦٣٦٦



٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس -

القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ - ٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ - ٠١٢٨٨٨٨٤١١٣

E-mail: daralminhaj@hotmail.com

daralminhaj@yahoo.com

فَتْحُ الرَّبِّ الْعَزِيزِ

بِنُوضِجِ شَرْحِ السُّنَنِ لِلْمُزَنِّيِّ

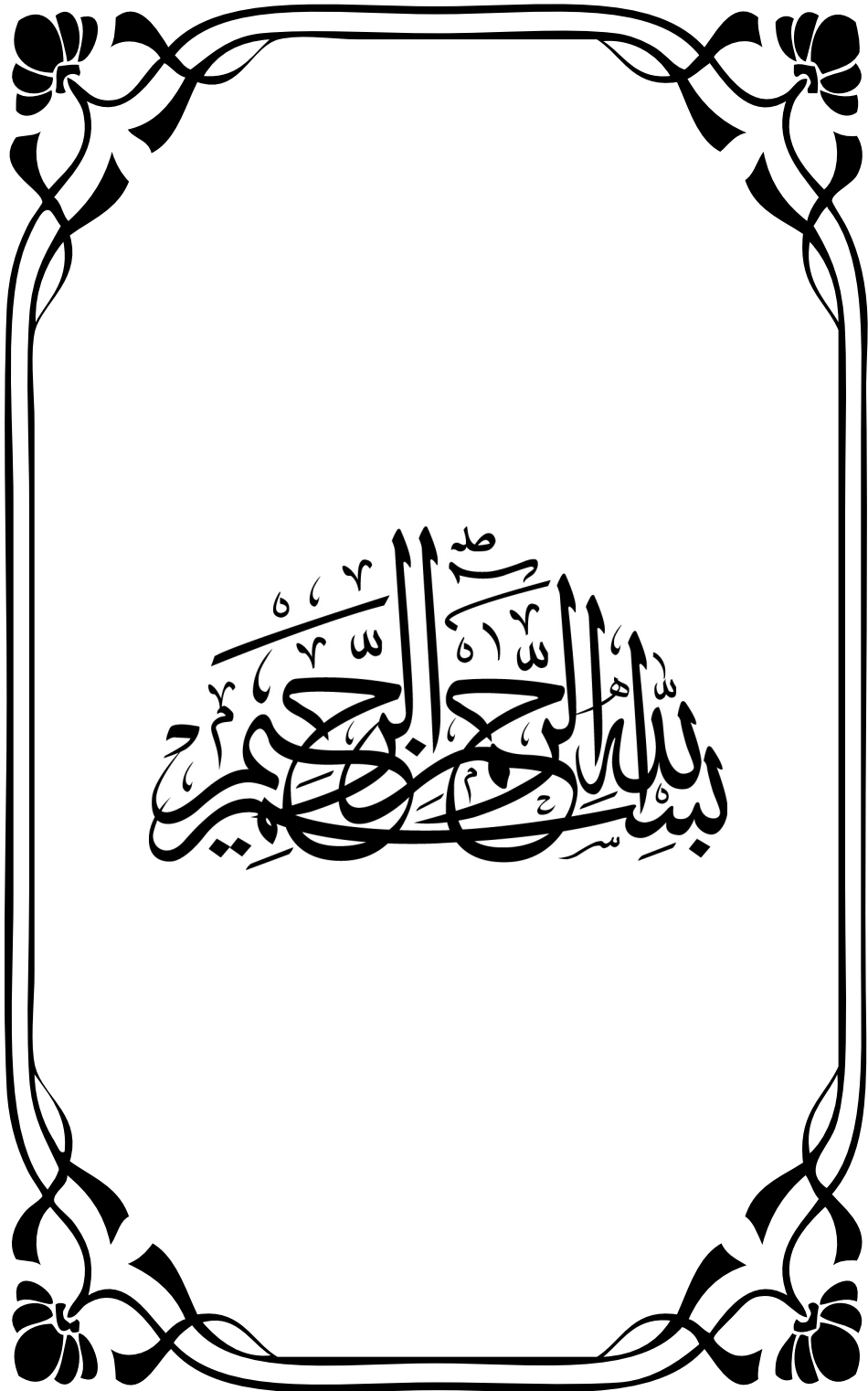
تَأَلَّفَ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّجَّاشِيِّ

تَحْقِيقٌ وَتَوْجِيحٌ
حَسَنُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ الدَّغْرِبَرِيِّ

الْمَدِينَةُ

مَنْشَرَةُ الْإِسْلَامِ
لِلنَّشْرِ وَالنُّوزُوعِ



المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على أشرف الأنبياء وسَيِّد المرسلين، نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهِ وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَسِّرُنَا أَنْ نُقَدِّمَ لَكُمْ «شرح السنة» للشيخ أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللهُ، وأصل هذا الشرح دروسٌ ألقاها في دورة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي العلمية الثامنة بجامعة المكتبة السلفية بصامطة.

وَقَدْ قُرِئَ عَلَى الشَّيْخِ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي حَقَّقَهُ الشَّيْخُ جَمَالَ عَزُونَ، وَقَدْ قَمَتِ بِالْآتِي:

١- ترجمة الإمام إسماعيل بن يحيى المزني، وقد اختصرتها من الترجمة التي جمعها الشيخ جمال عزون.

٢- إثبات متن «شرح السنة» للإمام المزني كاملاً في أول الكتاب، لأهمية ذلك.

٣- ترقيم الآيات وعزوها إلى مواضعها من القرآن الكريم.

- ٤- تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرهما.
 - ٥- بيان درجة الحديث قَدْر المستطاع.
 - ٦- إضافة بعض التَّعليقات، ونقل بعضها من التَّعليقات التي قام الشَّيخ جمال عزون بإضافتها في تحقيقه للرِّسالة المذكورة.
 - ٧- التَّعريف بالأعلام الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي الشَّرْحِ بِتَرْجُمَةٍ مُخْتَصِرَةٍ.
 - ٨- تم إضافة عناوين لفقرات الكتاب المشروح تيسيراً على القارئ.
- والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنَّه سميعٌ مجيبٌ.
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

كتبه تلميذه

حسن بن إبراهيم هادي دغريري

ترجمة المزني

١ - كنيته، اسمه، نسبه:

هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي.

والمزني -بضم الميم، وفتح الزاي، وفي آخرها النون-: هذه النسبة إلى مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، واسم مزينة: عمرو، وإنما سُمِّي باسم أمّه مزينة بنت كلب بن وبرة، ومزينة هي أم القبيلة المشهورة.

٢ - مولده وأسرته:

مولده في سنة موت الليث بن سعد سنة خمسٍ وسبعين ومئة، ويظهر أن أسرته كانت مُحَبَّةً للعلم وأهله، تحرص على تنشئة أفرادها تنشئة علمية، فقد ذكر العلماء أختًا للإمام المزني، وأنها كانت تحضر مجلس الشافعي، ونقل عنها الرافعي في الزكاة، وذكرها ابن السبكي والإسوي في «الطبقات».

وكذلك الربيع بن سليمان المرادي، فهو أخٌ للمزني من الرضاة، وابن أخته أبو جعفر الطحاوي الإمام المشهور صاحب «العقيدة الطحاوية».



٣- شيوخه:

من أبرز مشايخه الذين أخذ عنهم:

١- محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

٢- علي بن معبد بن شداد البصري (ت ٢١٨هـ).

٣- نعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٨هـ).

٤- أصبغ بن نافع (ت ٢٢٥هـ).

ويعود قلّة مشايخه إلى أمرين:

أحدهما: ملازمته الشديدة لشيخه الشافعي.

الثاني: أنه لم تكن له رحلة إلى البلدان الإسلاميّة، بل كان يكتفي بعلماء مصر ومن يرد إليها من العلماء.

٤- تلاميذه:

أخذ عن المزني خلقٌ كثيرٌ، ومن أبرز تلاميذه:

١- إمام الأئمّة أبو بكر بن خزيمة (ت ٣١١هـ).

٢- أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ).

٣- أبو القاسم بن بشار الأنماطي شيخ ابن سريج (ت ٢٨٨هـ).

٤- شيخ البصرة زكريا بن يحيى الساجي (ت ٣٠٧هـ).

- ٥- أبو الحسن بن جوصان (ت ٣٢٠هـ).
 ٦- أبو نعيم بن عدي.
 ٧- أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).

٥- مصنفاته:

كثير من كتب المزني مفقودة، وقد أشار إلى بعضها المترجمون له، ومن كتبه:

- ١- إفساد التقليد.
 ٢- الأمر والنهي على معنى الشافعي.
 ٣- الترغيب في العلم.
 ٤- الجامع الكبير.
 ٥- الجامع الصغير.
 ٦- الدقائق والعقارب.
 ٧- شرح السنة، وهو كتابنا هذا.
 ٨- المبسوط في الفروع.
 ٩- المختصر الكبير.
 ١٠- المختصر الصغير.

١١- مختصر المختصر، المشهور بـ «مختصر المزني».

وقد تعب المزنيُّ في تأليف هذا الكتاب كثيرًا بحيث استغرق في تأليفه عشرين سنةً، قال محمد بن إسحاق: سمعتُ المزنيَّ يقول: «مكثتُ في تأليف هذا الكتاب عشرين سنةً، وألّفته ثلاث مرّاتٍ، وغيّرتَه».

وقد مدح العلماء هذا الكتاب كثيرًا حتّى إنّ الإمام المزنيَّ -وهو مؤلفه- قال: «لو أدركني الشافعيُّ لسمع منِّي هذا المختصر».

وقال أبو العباس بن سريج: «وهو أصل الكتب المُصنّفة في مذهب الشافعيِّ، وعلى مثاله رتّبوا، ولكلامه فسّروا وشرحوا».

١٢- المسائل المعتمدة.

١٣- معتقد أو عقيدة أحمد بن حنبل.

١٤- المنشورات.

١٥- نهاية الاختصار.

١٦- الوثائق.

١٧- الوسائل.

٦- وفاته:

قال ابن خلكان: «توفي لست بقيت من شهر رمضان سنة أربع وستين ومئتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعيِّ، بالقرافة الصغرى



بسفح المقطم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذكر ابن زولان في «تاريخ الصغير» أنه عاش تسعاً وثمانين سنة، وصلى عليه الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعيّ.

وقد ذكر البيهقي في «مناقب الشافعيّ» عن عليّ بن محمد بن أبي سليمان المصري أنّ المزني مات سنة أربع وستين ومئتين، ويقال: كان ابن سبع وثمانين، وصلى عليه العباس بن أحمد بن طولون.



متن شرح السنة للمزني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا الفقيه الإمام شمس الدين أبو العز؛ يوسف بن عمر بن أبي نصر الهكاري - في شهر صفر سنة ست عشرة وست مئة - قال: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ الثقة بقیة السلف أبو إسحاق؛ إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني من لفظه بالموصل - في تاسع عشر من جمادى الأولى، سنة إحدى عشرة وست مئة - قال: أخبرنا الشيخ الصالح العالم أبو عبد الله؛ محمد بن أحمد بن حمد بن مفرج بن غياث الأرتاحي قراءتي عليه بفسطاط مصر - قال: أخبرنا الشيخ المُسند العالم أبو الحسن؛ علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء فيما أذن فيه لي (ح)، قال الشيخ إبراهيم بن عثمان، وأخبرنا الشيخ الإمام الفقيه الحافظ أبو طاهر؛ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني السلفي في كتابه إلينا من الإسكندرية، في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمس مئة، قال: أخبرنا الشريف أبو محمد عبد الملك بن الحسن بن بتنة الأنصاري بمكة، بقراءتي عليه في سنة تسع وتسعين وأربع مئة، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي النسوي الفقيه قدم علينا

مكة، أخبرني أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني بعسقلان، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى، وأبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، قال: أخبرنا أحمد بن بكر اليازوري، قال: حدثني الحسن بن علي اليازوري الفقيه، حدثني علي بن عبد الله الحلواني، قال: كنت بطرابلس المغرب فذكرتُ أنا وأصحابُ لنا السُّنَّةَ إلى أن ذكرنا أبا إبراهيم المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال بعض أصحابنا: بلغني أنه كان يتكلم في القرآن، ويقف عنده، وذكر آخرُ أنه يقوله، إلى أن اجتمع معنا قومٌ آخرون فغم الناس ذلك غمًّا شديدًا فكتبنا إليه كتابًا نريدُ أن نستعلم منه، يكتب إلينا (شرح السُّنَّة في القَدَر، والإزْجَاء، والقرآن، والبعث، والنُّشور، والمَوَازين، وفي النَّظَر)، فكتب إلينا:

عصمنا الله وإياكم بالتَّقوى، ووفَّقنا وإياكم لموافقة الهدى.

أما بعد: فإنك -أصلحك الله- سألتني أن أوضح لك من السُّنَّة أمرًا تصبر نفسك على التَّمسُّك به، وتدرأ به عنك شبه الأقاويل، وزَيِّغ محدثات الضَّالِّين.

وقد شرحت لك منهاجًا موضحًا منيرًا لم أَل نفسي وإياك فيه نصحاء، بدأتُ فيه بحمد الله ذي الرُّشد السَّديد.

الحمد لله أحق من ذِكْر، وأولى من شُكْر، وعليه أُنِّي، الواحد الصَّمد، الَّذي ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، جلَّ عن المثل، فلا شبهه له ولا عديل، السَّميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرَّفيع.

عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي مَجْدِهِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلْمِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ أَحَاطَ عِلْمُهُ
بِالْأُمُورِ، وَأَنْفَذَ فِي خَلْقِهِ سَابِقَ الْمَقْدُورِ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْغُفُورُ، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

فَالخَلْقَ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلْمِهِ، وَنَافِدُونَ لِمَا خَلَقَهُمْ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا
يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ نَفْعًا، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى صَرْفِ الْمَعْصِيَةِ عَنْهَا
دَفْعًا.

خَلَقَ الخَلْقَ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَانَتْ بِهِ، فَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ جَمِيعًا
لِطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِ: فَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ بِقُدْرَتِهِ لِلْعَرْشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَةٌ
مِنْهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصْطَفَى مِنْهُمْ رُسُلًا،
وَبَعْضٌ مُدَبِّرُونَ لِأَمْرِهِ.

ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لِلْأَرْضِ خَلْقَهُ، وَنَهَاها عَنِ
الشَّجَرَةِ قَدْ نَفَذَ قِضَاؤُهُ عَلَيْهِ بِأَكْلِهَا، ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِمَا نَهَاها عَنْهُ مِنْهَا، ثُمَّ سَلَطَ عَلَيْهِ
عَدُوَّهُ وَأَغْوَاهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ أَكْلَهُ لَهَا إِلَى الْأَرْضِ سَبِيًّا، فَمَا وَجَدَ إِلَى تَرْكِ
أَكْلِهَا سَبِيلًا، وَلَا عَنْهُ لَهَا مَذْهَبًا.

ثُمَّ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَهْلًا، فَهُمْ بِأَعْمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقُدْرَتِهِ
وَبِرَادَتِهِ يَنْفُذُونَ، وَخَلَقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أَهْلًا، فَخَلَقَ لَهُمْ أَعْيُنًا لَا يُبْصِرُونَ بِهَا،
وَأَذَانًا لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، فَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الْهُدَى
مَحْجُوبُونَ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدْرِهِ يَعْمَلُونَ.

وَالإِيمَانُ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ [مَعَ اعْتِقَادِهِ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ

بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ]، وَهُمَا سَيِّانٌ وَنِظَامَانٌ وَقَرِينَانِ، لَا تُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا، لَا إِيمَانٌ
بِلَا عَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْإِيمَانِ يَتَفَاضِلُونَ، وَبِصَالِحِ الْأَعْمَالِ هُمْ مُتَزَايِدُونَ، وَلَا
يَخْرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يُكْفَرُونَ بِرُكُوبِ كَبِيرَةٍ وَلَا عِصْيَانٍ، وَلَا
نُوجِبُ لِمُحْسِنِهِمُ الْجَنَانَ بَعْدَ مَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَى مُسِيئِهِمْ
بِالنَّارِ».

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ، وَمِنْ لَدُنْهُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ.

وَكَلِمَاتُ اللَّهِ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ، وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ، كَامِلَاتٌ غَيْرُ مَخْلُوقَاتٍ، دَائِمَاتٌ
أَزَلِيَّاتٌ، وَلَيْسَتْ بِمُحَدَّثَاتٍ فَيَبِيدُ، وَلَا كَانَ رَبُّنَا نَاقِصًا فَيَزِيدُ.

جَلَّتْ صِفَاتُهُ عَنِ شَبِّهِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَقَصُرَتْ عَنْهُ فَطْنُ الْوَاصِفِينَ،
قَرِيبٌ بِالْإِجَابَةِ عِنْدَ السُّؤَالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعَرُّزِ لَا يُتَأَلَّ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ
خَلْقِهِ، مُوجُودٌ وَلَيْسَ بِمَعْدُومٍ وَلَا بِمَفْقُودٍ.

وَالْخَلْقُ مَيِّتُونَ بِأَجَالِهِمْ عِنْدَ نَفَادِ أَرْزَاقِهِمْ، وَأَنْقِطَاعِ آثَارِهِمْ.

وَبَعْدَ الْبَلَاءِ مَنْشُورُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، وَلَدَى الْعَرْضِ
عَلَيْهِ مُحَاسِبُونَ، بِحَضْرَةِ الْمَوَازِينِ، وَنَشْرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنَسَّوَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ ﷻ الْحَاكِمَ
بَيْنَ خَلْقِهِ؛ لَكِنَّهُ اللَّهُ يَلِي الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ بِمِقْدَارِ الْقَائِلَةِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ
أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ كَمَا بَدَأَهُ لَهُمْ مِنْ شِقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ يَوْمَئِذٍ يَعُودُونَ، فَرِيقٌ فِي
الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.



وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يُؤَمِّدُ فِي الْجَنَّةِ يَتَمَتَّعُونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَاتِ يَتَلَذَّذُونَ،
وَبِأَفْضَلِ الْكَرَامَاتِ يُخْبِرُونَ.

فَهُمْ حِينَئِذٍ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْظُرُونَ، لَا يُمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا يَشْكُونَ،
فَوُجُوهُهُمْ بِكَرَامَتِهِ نَاصِرَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ بِفَضْلِهِ إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ
وَلَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿ [الحجر: ٤٨]. ﴾ أَكُلُهَا
دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿ [الرعد: ٣٥]. ﴾
وَأَهْلُ الْجَحْدِ عَنْ رَبِّهِمْ يُؤَمِّدُ مَحْجُوبُونَ، وَفِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ لَيْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾
[المائدة: ٨٠].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنَّهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦] إِلَّا مَنْ شَاءَ مِنْ
الْمُؤَحَّدِينَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا.

وَالطَّاعَةُ لِأُولِي الْأَمْرِ فِيمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عِبْرَةً لِمَنْ رَضِيَ، وَاجْتِنَابُ مَا كَانَ عِنْدَ
اللَّهِ مُسْخِطًا، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عِنْدَ تَعَدِّيهِمْ وَجُورِهِمْ، وَالتَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عِبْرَةً لِمَنْ
يَعْطِفُ بِهِمْ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ.

وَالْإِمْسَاكُ عَنِ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنْهُمْ فِيمَا أَحَدْتُوا مَا لَمْ يَتَدَعُوا
ضَلَالًا، فَمَنْ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا، كَانَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ خَارِجًا، وَمَنْ الدِّينِ
مَارِقًا، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عِبْرَةً بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُ، وَيُهْجَرُ وَيُحْتَقَرُّ، وَتُجْتَنَبُ غِدَّتُهُ،
فَهِيَ أَعْدَى مِنْ غِدَّةِ الْجَرَبِ.

وَيُقَالُ بِفَضْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَهُوَ أَفْضَلُ الْحَلْقِ وَأَخْيَرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. وَنُثِّي بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ، وَهُوَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَجَلِيسَاهُ فِي الْجَنَّةِ.

وَنُثِّلْتُ بِبِذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ بِبِذِي الْفَضْلِ وَالتَّقَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ أَجْمَعِينَ.

وَيُقَالُ بِفَضْلِهِمْ، وَيَذْكُرُونَ بِمَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ، وَنُتْسِكُ عَنِ الْحَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فَهُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ، ارْتَضَاهُمُ اللَّهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَجَعَلَهُمْ أَنْصَارًا لِدِينِهِ، فَهُمْ أئِمَّةُ الدِّينِ، وَأَعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَلَا يَتْرُكُ حُضُورَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَصَلَاتُهَا مَعَ بَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفَاجِرِهَا لَازِمٌ، مَا كَانَ مِنَ الْبِدْعَةِ بَرِيًّا، فَإِنْ ابْتَدَعَ ضَلَالًا فَلَا صَلَاةَ خَلْفَهُ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَدْلٍ أَوْ جَائِرٍ، وَالْحَجُّ.

وَإِقْصَارُ الصَّلَاةِ فِي الْأَسْفَارِ، وَالِاخْتِيَارُ فِيهِ بَيْنَ الصَّيَامِ وَالْإِنْفَاطَرِ فِي الْأَسْفَارِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأَفْعَالٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الْمَاضُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى، وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ اعْتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدُوءَ وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكْلُفَ فِيمَا كُفُوا، فَسُدُّوا بَعُونَ اللَّهِ وَوَفَّقُوا، لَمْ يَرْغَبُوا عَنِ الْإِتِّبَاعِ فَيَقْصُرُوا، وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ تَزِيدًا، فَيَعْتَدُوا.

فَنَحْنُ بِاللَّهِ وَاثِقُونَ، وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ رَاغِبُونَ.



فَهَذَا شَرْحُ السُّنَّةِ تَحْرِيثُ كَشْفَهَا، وَأَوْضَحْتُهَا؛ فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْقِيَامِ بِمَا
 أَبْتَنَاهُ مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالِاحْتِيَاظِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسْبَاغِ
 الطَّهَارَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الاستِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَى
 أَهْلِ الْجِدَاتِ، وَالْحَجِّ عَلَى أَهْلِ الْجِدَةِ وَالِاستِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهْرِ
 لِأَهْلِ الصَّحَاتِ، خَمْسُ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَعْدِ الصَّلَوَاتِ:
 صَلَاةُ الْوَتْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَرَكَعَتِي الْفَجْرِ، وَصَلَاةُ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ، وَصَلَاةُ
 كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا نَزَلَ، وَصَلَاةُ الْاسْتِسْقَاءِ مَتَى وَجَبَ.

وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، وَالِاخْتِرَازِ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغِيْبَةِ، وَالْبَغْيِ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ يُقَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يُعْلَمُ، كُلُّ هَذَا كِبَائِرُ مُحَرَّمَاتٌ.

والتَّحَرِّيِ فِي الْمَكَاسِبِ، وَالْمَطَاعِمِ، وَالْمَحَارِمِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ،
 وَاجْتِنَابِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ الْمُحَرَّمَاتِ.

فَمَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَى؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ الْحِمَى، فَمَنْ يُسِّرْ لِهَذَا فَإِنَّهُ
 مِنَ الدِّينِ عَلَى هُدًى، وَمِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى رَجَاءٍ، وَوَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَى سَبِيلِهِ
 الْأَقْوَمِ، بِمَنْهِ الْجَزِيلِ الْأَقْدَمِ، وَجَلَالِهِ الْعَلِيِّ الْأَكْرَمِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ
 اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَعَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَلَا يُنَالُ سَلَامُ اللهِ الضَّالِّينَ، وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

نَجَزْتُ هَذِهِ الرَّسَالََةَ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ
 وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَسَلَّمٌ كَثِيرًا كَثِيرًا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا الفقيه الإمام شمس الدين أبو العز؛ يوسف بن عمر بن أبي نصر الهكاري - في شهر صفر سنة ست عشرة وست مئة - قال: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ الثقة بقیة السلف أبو إسحاق؛ إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني من لفظه بالموصل - في تاسع عشر من جمادى الأولى، سنة إحدى عشرة وست مئة - قال: أخبرنا الشيخ الصالح العالم أبو عبد الله؛ محمد بن أحمد بن حمد بن مفرج بن غياث الأرتاحي قراءتي عليه بفسطاط مصر - قال: أخبرنا الشيخ المُسند العالم أبو الحسن؛ علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء فيما أذن فيه لي (ح)، قال الشيخ إبراهيم بن عثمان، وأخبرنا الشيخ الإمام الفقيه الحافظ أبو طاهر؛ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني السلفي في كتابه إلينا من الإسكندرية، في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمس مئة، قال: أخبرنا الشريف أبو محمد عبد الملك بن الحسن بن بتنة الأنصاري بمكة، بقراءتي عليه في سنة تسع وتسعين وأربع مئة، قالوا: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي النسوي الفقيه قدم علينا مكة، أخبرني أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني بعسقلان، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، وأبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، قالوا: أخبرنا أحمد بن بكر اليازوري، قال: حدثني الحسن بن علي اليازوري الفقيه، حدثني علي بن عبد

الله الحلواني، قال: كنت بطرابلس المغرب فذكرتُ أنا وأصحابُ لنا السُّنَّةَ إلى أن ذكرنا أبا إبراهيم المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال بعض أصحابنا: بلغني أنه كان يتكلم في القرآن، ويقف عنده، وذكر آخرُ أنه يقوله، إلى أن اجتمع معنا قومٌ آخرون فغم الناس ذلك غمًّا شديدًا فكتبنا إليه كتابًا نريدُ أن نستعلم منه، يكتب إلينا (شرح السُّنَّة في القَدَر، والإرْجاء، والقرآن، والبعث، والنُّشور، والمَوَازين، وفي النَّظَر)، فكتب إلينا:



مدخل

عصمنا الله وإياكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى.

أما بعد: فإنك -أصلحك الله- سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تصبر نفسك على التمسك به، وتدرأ به عنك شبه الأقاويل، وزين محدثات الضالين.

وقد شرحت لك منهاجاً موضحاً منيراً لم آل نفسي وإياك فيه نصحاً، بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد السديد.

الحمد لله أحق من ذكر، وأولى من شكر، وعليه أئني، الواحد الصمد، الذي ليس له صاحبة ولا ولد، جلّ عن المثل، فلا شبه له ولا عديل، السميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرفيع.



الشرح

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد لله أحق من ذكر»: الدليل عليه قول الله ﷻ:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قوله: «وَأَوْلَىٰ مَنْ شُكِرَ»، الدليل عليه قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قوله: «وعليه أثنى»: أي أثنى عليه بمحامده، وما له من الإجلال والتعظيم.

قوله: «الواحد الصّمد»: من أسمائه: الواحد، والأحد، والصّمد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، فالله سبحانه أحدٌ في ذاته، وأحدٌ في صفاته، غالبٌ لا يُغلب، وقاهرٌ لا يُقهر، وعزيزٌ لا يُضام في عزّه، ولا يحتاج إلى مُعينٍ ولا وزيرٍ.

قوله: «ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، جلٌّ عن المثل»: أي ليس له شبيهةٌ، ولا نظيرٌ، جلٌّ عن الصّاحبة والولد، وعن المثل، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿٣﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣].

قوله: «فلا شبيه له ولا عديل» يعني هناك أحدٌ يعدله، والعديل: هو النظير والمساوي، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿١﴾ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٢﴾ [الأنعام: ١]، فهو سبحانه الذي فعل هذه الأمور، خلق السّماوات والأرض، وخلق الشّمس والقمر، وخلق الظُّلمات والنُّور، ومع ذلك فإنّ المشركين يعدلون به غيره ممّن لم يخلقوا شيئاً وهم يُخلقون.

قوله: «السّميع»: أي بسّمعٍ يسّمع به جميع الأصوات.

قوله: «البصير»: أي الذي نفذ بصره كلَّ المُبْصِرَات.

قوله: «العليم»: أي الذي أحاط علمُهُ بجميع المعلومات ممَّا في الأرض
والسَّمَاوَات، وغير ذلك من المخلوقات.

قوله: «الخبير»: الخَبِيرُ مرادفٌ للعليم، من الخبرة وهو العلم، أو تمام
العلم.

قوله: «المنيع»: معناه الممتنع عن كلِّ مَنْ يقصده، فهو رَبُّ الْعَالَمِينَ ذو العِزَّة
والعظمة، وذو القوَّة والقهر لغيره.

قوله: «الرَّفِيع»: معناه مأخوذٌ من الرَّفِعة، والرَّفِعة يقصد بها رِفْعة المكان،
ورِفْعة المكانة، وهو الَّذِي اتَّصَفَ بهما سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

رفعة المكان: أي كونه استوى على العرش.

ورفعة المكانة: أي أَنَّهُ هو الإله الحقُّ الَّذِي تخضع لجبروته وعِزَّتِهِ
وكماله كلُّ المخلوقات، وبالله التوفيق.



العلو

عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي مَجْدِهِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلْمِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ أَحَاطَ عِلْمُهُ
بِالْأُمُورِ، وَأَنْفَذَ فِي خَلْقِهِ سَابِقَ الْمَقْدُورِ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْغَفُورُ، وَ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].



قال المزمي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ اللهُ سبحانه: «عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي مَجْدِهِ بِذَاتِهِ»:
وأقول: إِنَّ عُلُوَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أدَلَّةٌ كَثِيرَةٌ، قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ
يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وقال جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
[فاطر: ١٠].

وقال رَحِمَهُ اللهُ لَجَارِيَةِ معاوية بن الحكم: «أين الله؟» قالت: في السَّمَاءِ. قال:
«مَنْ أَنَا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها؛ فَإِنَّهَا مؤمنة»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَحِمَهُ اللهُ.

وأهل السنة يعتقدون بأن الله مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه، بائنٌ منهم بذاته، وهو معهم بعلمه وهيمته وقهره وغلبته.

قوله: «وهو دانٍ بعلمه من خلقه»: أي أن الله ﷻ مُطَّلَعٌ عَلَى عِبَادِهِ، يَعْلَمُ وَسَاوِسَ الصُّدُورِ، وَخَفَايَا الضَّمَائِرِ، وَمَكْنُونِ الْقُلُوبِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

فأخبر باطلاعه على وساوس النفوس، وقربه من كلِّ عبدٍ قربًا به يكون أقرب إلى عبده من حبل الوريد.

وحبل الوريد: هو العِرْقُ المحيط بالعنق، وقال جلٌّ من قائل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

قوله: «أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور و﴿يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]»، أقول: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، كما سبق، وأنهم يعتقدون أن الله فوق عرشه بذاته، وأنه مع خلقه بعلمه، وأن قضاءه فيهم نافذٌ، وقدَرَه فيهم جارٍ، يهدي مَنْ يشاء بفضله، ويضلُّ مَنْ يشاء بعدليه، لا يُسألُ عمَّا يفعل وهم يُسألون، وبالله التَّوفيق.





القضاء والقدر

فَالْحَلْقُ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلْمِهِ، وَنَافِذُونَ لِمَا خَلَقَهُمْ لَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ نَفْعًا، وَلَا يَحِدُونَ إِلَى صَرْفِ الْمَعْصِيَةِ عَنْهَا دَفْعًا.



الشرح

أقول: خَلَقَ اللهُ العباد، وَأَنْفَذَ فِيهِمْ مَشِيئَتَهُ، وَحَكَمَ فِيهِمْ بَعْدَلَهُ، لَكِنَّهُ قَدْ جَعَلَ لِعِبَادِهِ مَشِيئَةً وَاخْتِيَارًا، فَهَمَّ يَخْتَارُونَ الطَّاعَةَ أَوْ المَعْصِيَةَ، وَهَمَّ يَخْتَارُونَ سَبِيلَ السَّعَادَةِ أَوْ الشَّقَاوَةِ؛ وَلَكِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ إِرَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَقِلُّونَ بِمَشِيئَتِهِمْ عَنِ مَشِيئَتِهِ، أَمْرُهُ (١) فِيهِمْ نَافِذٌ، وَقَدَرَهُ عَلَيْهِمْ جَارٍ، وَكُلُّ مِنْهُمْ إِلَى مَا كَتَبَهُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ صَائِرٌ.

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَأَنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ، فَمَنْ هُدِيَ فَهُوَ بِفَضْلِ اللهِ هُدِيَ، وَمَنْ شَقِيَ فَهُوَ بَعْدَلَهُ شَقِيَ، وَهَمَّ مَعَ ذَلِكَ جَعَلَ اللهُ لَهُمْ

(١) المقصود به: الأمر الكوني القدري.

الاختيار والمشية التي يدينهم بها، له فيهم الحكمة البالغة، وله عليهم الحجة الدامغة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان: ٤، ٥].

ونعتقد بأن القدرية ضالون، وهم ينقسمون إلى قسمين:

١- نفاة القدر: الذين يقولون: لا قدر، أو يقولون: إن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر، وقدّر الطاعة، ولم يُقدّر المعاصي.

هؤلاء مذهبهم باطل^(١)، والله ﷻ قد أخبرنا بأنه خلق العباد، وقدّر أعمالهم، وهم لا يمكن أن يخرجوا عن قدر الله تعالى، فمن قال: إن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر؛ فقد ضلّ.

والإرادة إرادتان:

١- إرادة شرعية.

٢- إرادة قدرية كونية.

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

(١) هذا رد على القدرية الذين يزعمون أن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون! وقد سأل المزني شيخه الشافعي فقال: «يا أبا عبد الله، من القدرية؟ فقال: هم الذين يزعمون أن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون». أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٣٥٤ / ٢) بإسناده. [عزون].



فَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ (١)، فَقَدْ أَثْبَتَ خَالِقِينَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْجَنِّ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًا رِيدَ بِيَمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فَالْعَمَلُ يُنْسَبُ إِلَى الْعِبَادِ كَسْبًا وَاخْتِيَارًا مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ قَدَرِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَبِهَذَا الْكَسْبِ وَالِاخْتِيَارِ يُؤَاخِذُهُمُ اللَّهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وَمِنْ نِوَازِمِ قَوْلِهِمْ: أَنَّهُ يَقَعُ فِي مُلْكِ اللَّهِ مَا لَا يَرِيدُهُ، فَيَكُونُ مَغْلُوبًا، وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَأَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ رَدَّ عَلَيْهِمُ ابْنُ عَمْرٍو (٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ: «إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ شَأْنَهُمْ -، وَأَنْتُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُتْفُ. قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنْتُمْ بَرَاءَةٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرٍو لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» (٣).

(١) أَي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَيْرَ وَلَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ، وَقَدَرَ الطَّاعَةَ وَلَمْ يَقْدِرِ الْمَعَاصِي.

(٢) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَلِدٌ بَعْدَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِسَيْبَرٍ، وَاسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ أَحَدُ الْعِبَادِلَةِ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اتِّبَاعًا لِلْأَثَرِ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِي آخِرِهَا، أَوْ أَوَّلِهَا. تَلِيهَا.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨).

وفي الجانب الآخر:

٢- القدرية المجبرة: الَّذِينَ يَقُولُونَ: «إِنَّ الْعَبْدَ مُجْبُورٌ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِّ، مُجْبُورٌ عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ» وَكَذَّبُوا، فَمَنْذَهُبُهُمْ هَذَا بَاطِلٌ، وَمَنْ لَوَازِمُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ ظَلَمَهُمْ حَيْثُ جَبَرَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَرَدُّ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ جَلٌّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]. وقال جَلٌّ وعلا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]. إلى غير ذلك من الآيات.

فَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَدْلٌ، لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لِلْعِبَادِ كَسْبًا وَاخْتِيَارًا يِعَاقِبُهُمْ أَوْ يَشْبِيهِمْ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وَقَالَ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.



الملائكة

خَلَقَ الْخَلْقَ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَانَتْ بِهِ، فَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ جَمِيعًا لِبَطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِ: فَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ بِقُدْرَتِهِ لِلْعَرْشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يُقَدِّسُونَ، وَاصْطَفَى مِنْهُمْ رُسُلًا، وَبَعْضٌ مُدَبِّرُونَ لِأَمْرِهِ.



الشرح

أقول: الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان الستة، كما أنَّ الإيمان بالقدَّر ركنٌ من أركان الإيمان.

فالملائكة خلقهم الله ﷻ وجميع الخلق من غير حاجة إليهم، ولكن خلقهم لحكمة، وأوجدهم لغاية يريدونها منهم ﷻ؛ فالملائكة كلُّهم مَجْبُولُونَ عَلَى طَاعَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، لا يعصونه طرفة عينٍ، فمنهم حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ومنهم الملائكة الكُروبيُّون الَّذِينَ هُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ.

قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ

بِهِ، وَيَسْتَعْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿[غافر: ٧].

ومنهم ملائكة جعلهم الله رسلاً يأمرهم بأمره فيأتمرون، ومنهم الحفظة،
ومنهم المعقبات، ومنهم خزان الريح، ومنهم خزنة النار، ومنهم خزنة الجنة،
ومنهم ملائكة البحار، ومنهم ملائكة الجبال، ومنهم ملائكة موكلون
بالسحاب، ومنهم ملائكة في السماوات يعبدون الله.

قال ﷺ: «أُطِّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا
وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جِبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»^(١)، وبالله التوفيق.



(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَحَسَنَهُ الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

فائدة: من أنواع الملائكة أيضًا غير ما ذكر: الملائكة الموكلون بسؤال الميت إذا وُضع في قبره، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت، والملائكة الذين يتبعون مجالس الذكر، والملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه؛ بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وغيرهم كثير.

وقد ذكر أسماء بعض الملائكة كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، كما قد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل كما حصل لجبريل حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشرًا سويًا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم ولوط كانوا على صورة رجال.

آدم عليه السلام

ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبَلَ ذَلِكَ لِلْأَرْضِ خَلْقَهُ، وَنَهَاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ قَدْ نَفَذَ قِضَاؤُهُ عَلَيْهِ بِأَكْلِهَا، ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِمَا نَهَاهُ عَنْهُ مِنْهَا، ثُمَّ سَلَطَ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ وَأَغْوَاهُ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ أَكْلَهُ لَهَا إِلَى الْأَرْضِ سَبَبًا، فَمَا وَجَدَ إِلَى تَرْكِ أَكْلِهَا سَبِيلًا، وَلَا عَنْهُ لَهَا مَذْهَبًا.



الشرح

أقول: خلق الله آدم بيده، ولم يباشر بخلق شيئاً بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، وغرس الجنة عدن بيده^(١).

(١) أخرجه الآجري في «الشریعة» (ص ٣٠٣) عن حكيم بن جابر قال: «أخبرت أن ربكم عليه السلام لم يمَسَّ إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وجعل تراها الورس والزعفران، وجبالها المسك، وخلق آدم عليه السلام، وكتب التوراة لموسى عليه السلام»، وعثمان بن سعيد في «رده على بشر المريسي» (١/٢٦٥) عن كعب الأحبار من قوله، وانظر «مختصر العلو» للألباني (٧٥). والورس: نبت أصفر يُصبغ به.

وَقَدْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنْ خَلْقِ آدَمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

والمهم: أن الله خلقه للأرض، ولو لم يكن كذلك ما جعل عمره مُقَدَّرًا بالسنين، فكان عمره ألف سنة، مكث متين وخمسين سنة في السماء، ثم أكل من الشجرة بإغواء من إبليس - عليه لعنة الله، ونعوذ بالله منه - حيث سلَّطه الله عليه، وعلى زوجته ففاسمهما أنه لهما من الناصحين: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ثم أهبطهما الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأرض بعد أن بيَّن لهما عداوة الشيطان، فكانت تلك إرادته.

ولقد قال بعض السلف: خلق الله آدم للأرض، وذلك أنه سُئِلَ: هل خلق الله آدم للأرض أم للسماء؟ فقال: بل للأرض^(١).

(١) أخرج أبو داود (٤٦١٣) عن خالد الحذاء، قال: «قلت للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عن آدم، ألسماء خلق أم للأرض؟ قال: لا، بل للأرض. قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن له منه بدُّ. قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبَيْنِ﴾ (١١٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣]. قال: إن الشياطين لا يفتنون بضاللتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».



وكان في إغوائه مصلحة:

أولاً: ليعرف عاقبة المخالفة لأمر الله.

ثانياً: ليتبين له عدوه اللدود حتى يكون على حذرٍ منه، هو وذريته.

ثالثاً: لينفذ فيهما^(١) القضاء المقدر، فيهبطوا إلى الأرض، وتكون على الأرض معركة الصراع بين الحق والباطل، والله ﷻ لا يضيع أهل الحق، ولا يتركهم بدون بيان، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿ بَيْنِي وَآدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦]، وباللغة التوفيق.



(١) أي: آدم وحواء ﷺ.

الجنة والنار

ثُمَّ خَلَقَ لِلجَنَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَهْلًا، فَهُمْ بِأَعْمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقُدْرَتِهِ وَبِرَادَتِهِ يَنْفُذُونَ، وَخَلَقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أَهْلًا، فَخَلَقَ لَهُمْ أَعْيُنًا لَا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَأَذَانًا لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، فَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الْهُدَى مَحْجُوبُونَ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدَرِهِ يَعْمَلُونَ.



الشرح

أقول: خَلَقَ اللهُ الجنة والنار قبل أن يخلق آدم، وَخَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلًا، وَلِلنَّارِ أَهْلًا، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِهَا، وَأَهْلُ النَّارِ كَذَلِكَ، قَالَ عِبْرَةَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيْرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْفَى ﴿٨﴾ وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠] (١).

(١) معنى حديث صحيح أخرجه البخاري (١٣٦٢) عن علي رضي الله عنه، قال: «كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَعَدَّ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مَخْضَرَةٌ، فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمَخْضَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مِنْفُوسَةٍ إِلَّا كَتَبَ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كَتَبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمِنْ

وقال جلّ من قائل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان: ١-٣].

وقال الصّحابة للنبيّ ﷺ: «يا رسول الله، أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيءٌ قضى عليهم، ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به ممّا أتاهم به نبيّهم، وثبتت الحُجّة عليهم؟ فقال: «لا؛ بل شيءٌ قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ [الشمس: ٧، ٨]» (١).

فأهل الجنة يُيسّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار يُيسّرون لعمل أهل النار.

فقول المؤلف: «ثمّ خلق للجنة من ذرّيته»: أي: من ذرّية آدم أهلاً، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون.

وكذلك قوله: «وخلق من ذرّيته للنار أهلاً...» إلى آخر ما قال المؤلف: والله ﷻ قد وصف الكفّار بأنّ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ

كان ممّن من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة، وأمّا من كان ممّن من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: «أمّا أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأمّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة»، ثمّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى﴾ (٥) وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ﴿٦﴾ ﴿[الليل: ٦، ٥] الآية﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٠) من حديث عمران بن الحصين ﷺ.

بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴿ [الأعراف: ١٧٩].

وقال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿ [الأنفال: ٤٣، ٤٢].

والمهم، أن أهل الجنة قد عرفوا عند الله، وييسرهم في الدنيا لعملها، وأهل النار قد علموا عند الله، وييسرهم في الدنيا لعملها، وبالله التوفيق.



الإيمان

وَالْإِيمَانُ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ [مَعَ اعْتِقَادِهِ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ]، وَهُمَا سَيِّانٌ وَنِظَامَانٌ وَقَرِينَانِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، لَا إِيمَانَ بِلَا عَمَلٍ، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْإِيمَانِ يَتَفَاضِلُونَ، وَبِصَالِحِ الْأَعْمَالِ هُمْ مُتَزَايِدُونَ، وَلَا يَخْرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يُكْفَرُونَ بِرُكُوبِ كَبِيرَةٍ وَلَا عِصْيَانٍ، وَلَا نُوجِبُ لِمُحْسِنِهِمُ الْجَنَانَ بَعْدَ مَنْ أَوْجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَى مُسِيئِهِمْ بِالنَّارِ».



الشرح

أقول: تعريف الإيمان: الإيمان اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، قال الله ﷻ: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿[التوبة: ١٢٤]، إلى غير ذلك.

وأجمع أهل السنة والجماعة على ما تقدم ذكره: أن الإيمان: اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، وأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وكلما ازداد العبد في الطاعة، ازداد إيمانهُ كما لا وقوةً، وكلما وقع في المعاصي والتقصير والغفلة، تناقص إيمانهُ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

أما المرجئة فهم يقولون: الإيمان: المعرفة فقط، وهؤلاء مرجئة الجهمية. ومنهم من يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، والنطق باللسان، ويؤخرون العمل، وكل الإرجاء لا خير فيه، فكما أن الغلو خطرٌ على المسلم، وقد هلك بالغلو من هلك؛ هلك به الخوارج الذين كفروا المسلمين بدءاً بالصحابة ما عدا أبي بكر^(١) وعمر^(٢)، وهلك به الشيعة الذين غلوا في أهل البيت، وانتقصوا حق الصحابة - رضوان الله عليهم - وكفروهم، فكما أن الغلو هلكة، فكذلك الإرجاء هلكة.

وأهل السنة يعتقدون أن المؤمنين يتفاضلون في أعمالهم، ولهذا كان أبو

(١) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة، الصديق الأكبر - وقيل: اسمه عتيق - خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة.

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي ابن كعب القرشي العدوي، يقال له: الفاروق، أمير المؤمنين، مشهور، جَمُّ المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً.

بكرٍ أفضل النَّاس بعد الأنبياء؛ لأنَّه كان أعظم النَّاس تصديقًا.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ -: «مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَّا كَانَتْ لَهُ كِبُورَةٌ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»^(٢).

وَبِالتَّفَاضُلِ فِي الْعَمَلِ وَالتَّصَدِيقِ، كَانَتْ مَقَامَاتِ الصَّحَابَةِ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ، وَوَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجُلًا آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(٣).

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيَمُرُّونَ عَلَى الصُّرَاطِ كَلْمَحِ الْبَصْرِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَكَسَعِيِّ الرَّجَالِ^(٤)، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ شَمْعَةٌ عَلَى

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (١٦٤/٢)، وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي «مَغَازِيهِ» (ص ١٢٠) قَالَ: «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَصِينِ التَّمِيمِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَّا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كِبُورَةٌ وَتَرَدَّدَ وَنَظَرَ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ مَا عَكَمَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتَهُ، وَلَا تَرَدَّدَ فِيهِ»، وَإِسْنَادُهُ مُعْضَلٌ. وَقَوْلُهُ: «مَا عَكَمَ عَنْهُ»: أَيُّ مَا تَحَبَّسَ فِيهِ، وَلَا انْتَهَرَ. وَانظُرْ: «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» لِابْنِ كَثِيرٍ (٣/٣١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٥٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٨٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٥٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٣١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مَعْنَى حَدِيثِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٣٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٣١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ

ظفر إبهام قدمه اليمنى تشعُّ تارةً فيتقدم، وتنطفئ فيقف، أو كما ورد^(١).
 وَقَدْ ورد: «وَأَنَّ مِنْهُمْ لَمَنْ يَزْحَفُ عَلَى بَطْنِهِ»^(٢)، وهذا يدلُّ على سقوط
 مَنْ يتساقطون في النَّارِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ، وَهَذَا كُلُّهُ يدلُّ على اختلاف مقامات
 النَّاسِ فِي الْإِيمَانِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمَلَأَ قُلُوبَنَا إِيمَانًا وَبِقِيْنًا.

وإنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُكْفَرُونَ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يُوجِبُونَ النَّارَ لِأَحَدٍ
 مِنَ النَّاسِ، وَلَا يُوجِبُونَ الْجَنَّةَ أَيضًا، وَلَكِنْ يَرْجُونَ لِلْمَحْسَنِ، وَيَخَافُونَ عَلَى
 الْمَسِيءِ، وَلَا يَشْهَدُونَ عَلَى أَحَدٍ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، خَلَا مَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
 وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.



(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٨/٢) (٣٤٢٤)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»،
 ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥) بلفظ: «حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا» من حديث أبي
 هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

القرآن

وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ لَدُنْهُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ^(١).



الشرح

أقول: القرآن كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، يعتقدون أنّ القرآن كلام الله، وأنّه محفوظٌ من التّحريف والتّقصّ والزّيادة، وأنّه سيبقى، فإذا فسد النّاس في آخر الزّمان، واقتربت السّاعة، حينئذٍ يُسرّى عليه فيسلب من المصاحف، ومن صدور الرّجال، وذلك قبيل قيام السّاعة.

(١) وقد قال أبو عوانة: «دخلت على إبراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: ما قولك في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق. فقلت: هلاً قلت قبل هذا؟ قال: لم يزل هذا قولي، وكرهت الكلام فيه؛ لأنّ الشّافعيّ كان ينهى عن الكلام فيه. يعني: البحث والجدال في ذلك. أخرجه الحاكم في ترجمة أبي عوانة. قلت -أي: الحاكم: «سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول: سمعت أبا عوانة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... به». كذا في «العلو» (ص ٥٧). وقال الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «مختصره» (ص ٢٣٣): «الإسناد جيد». [عزّون].

وقد جاء في الحديث: «ويُسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية...»^(١).

أنزل الله القرآن لهداية البشرية، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله، آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أنّي أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(٢).

القرآن أعظم معجزة على الإطلاق، قال ﷺ: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدِي الْكَبِيرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٥-٣٧].

اللَّهُمَّ اجعلنا من المؤمنين بكتابك، المُتبعين لهديه، المُتمثلين لأوامره، المجتنبين لمناهيه، المُصدّقين بأخباره.

ولقد ابتلي المسلمون في أوائل القرن الثالث بالدعوة إلى القول بخلق القرآن بسبب أنّ المعتزلة أقنعوا الخليفة المأمون^(٣) بذلك، وبأن يدعو

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠٤٩) من حديث حذيفة، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١ و٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) هو: عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، العباسي، القرشي، الهاشمي، أبو جعفر، أمير المؤمنين، ولد في ربيع الأول سنة سبعين ومئة، تولى الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومئة، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر، وقد كان فيه تشيع واعتزال، وجهل بالسنة الصحيحة؛ لأنه اجتمع بجماعة منهم: بشر بن غياث المريسي فخدعوه، وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يحب العلم، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل، وراج عنده الباطل ودعا إليه، وحمل الناس عليه قهراً. توفي بطرطوس في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومئتين، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة.



العلماء إلى ذلك، ومن امتنع منهم عن القول به، أقنعوه بقتله، فأدخل العلماء السجون، فمنهم من مات في السجن، ومنهم من ورى بشيء من القول بخلق القرآن، وأُخرج من السجن، ومنهم من أُخرج من السجن بعد زمنٍ طويلٍ. وقد ثبت الإمام أحمد بن حنبل^(١)، وضرب في ذلك حتى أُغمي عليه، ومكث في السجن، ومنع من التحديث، وكانت هذه فتنةً عظيمةً، لقي الناس فيها من الشرِّ ما لَقُوا.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وجميع أهل السنة والجماعة: «من قال إن القرآن مخلوق فهو كافرٌ، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدعٌ»؛ بل وكفَّره بعضهم، ثم بعد ذلك أنقذ الله أهل الإسلام بولاية المُتوَكِّل^(٢) على الله، فعزَّ فيه أهل الإسلام، وعلماء الإسلام، وذلك في عهده المبتدعة، والحمد لله ربِّ العالمين، وبالله التوفيق.



(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ولد سنة أربع وستين ومئة، أمُتحن بالقول بخلق القرآن فصبر، وحُبس ومُنِع من التحديث زمنًا، وهو ثابت ثبوت الجبال الشوامخ، فكان إمام أهل السنة بحقٍّ، توفي سنة إحدى وأربعين ومئتين.

(٢) هو جعفر بن المعتمد بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة سبع ومئتين، وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، قتل سنة سبع وأربعين على يد ولده المنتصر، وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام.

الصفات

وَكَلِمَاتُ اللَّهِ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ، وَنَعْتُهُ وَصِفَاتُهُ، كَامِلَاتٌ غَيْرُ مَخْلُوقَاتٍ، دَائِمَاتٌ
 أَزَلِيَّاتٌ، وَلَيْسَتْ بِمُحَدَّثَاتٍ فَتَيِّدٌ، وَلَا كَانَ رَبُّنَا نَاقِصًا فَيَزِيدُ.
 جَلَّتْ صِفَاتُهُ عَنِ شَبِيهِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَقَصُرَتْ عَنْهُ فِطْنُ الْوَاصِفِينَ،
 قَرِيبٌ بِالْإِجَابَةِ عِنْدَ السُّؤَالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعَرُّزِ لَا يُنَالُ، عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ
 خَلْقِهِ^(١)، مَوْجُودٌ وَلَيْسَ بِمَعْدُومٍ وَلَا بِمَفْقُودٍ.



الشرح

نقول: إنَّ صفات الله تَوْقِيفِيَّةٌ، يجب أن نصفه بما وصف به نفسه في كتابه،

(١) قال الذهبي في «العلو» (ص ١٣٥): «واعلم أنَّ لفظة «بائن» كثر ورودها في عقيدة السلف في قولهم: «هو تعالى على عرشه، بائن من خلقه» وحكاها أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان عن العلماء في جميع الأمصار، وإنَّما نطق بها العلماء بهاتين اللفظتين: «بذاته، وبائن» بعد أن لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأنَّ الله في كل مكان، فافتضت ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام بلفظ «بائن» دون أن ينكره أحد منهم». انظر: «مختصر العلو» (ص ١٨) للعلامة الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. [عزون]



وبما وصفه به رسوله ﷺ في سُنَّتِهِ، نثبت ما أثبت الكتاب والسُنَّة، وتوقف عند ذلك.

نؤمن بما دلَّت عليه هذه الصِّفَات من المعاني، إلَّا أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَعْتَقِدَ بِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ جَلَّتْ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَعَزَّتْ عَنْ مِثَابَةِ الْمُحَدِّثِينَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

نؤمن بأن له سمعًا يسمع به جميع المسموعات، وله بصيرًا يرى به جميع المُبْصِرَات، وأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوت، لَيْسَ لِحَيَاتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا الْفَنَاءُ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ سُبِقَ بِالْعَدَمِ، ثُمَّ لَا بَدْلَ لَهُ مِنَ الْفَنَاءِ.

قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. ونؤمن بأن الاتفاق في أسماء الصِّفَات لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق، فإذا قلنا إنَّ الله حَيٌّ، والمخلوق حَيٌّ، فإنَّ حياة المخلوق سبقت بالعدم، وسيلحقها الفناء، أمَّا صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ فليست كذلك، وهكذا نقول في سائر الصِّفَات، فإذا أثبتنا لله وجهًا، فنحن نثبت له وجهًا يليق بجلاله، وإذا أثبتنا له يدًا، فنحن نؤمن أنَّ له يدًا تليق بجلاله، وهكذا نقول في سائر صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ.

ثُمَّ إِنَّ الصِّفَاتِ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

صِفَاتٍ ذَاتِيَّةٍ: وهي الوجه، والعينان، والسمع، والبصر، واليدان، والسَّاق، والقدَم، والأصابع، والعلم، والقدرة، والعزَّة، والحكمة، والعلو، والعظمة.

وَأَمَّا الصِّفَاتُ الْفَعْلِيَّةُ: فَنَحْنُ نُوْمِنُ بِأَنَّهُ خَالِقٌ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَنُوْمِنُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ «يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ لَيْلَةٍ»^(١).
فَالْخَلْقُ وَالْاسْتِوَاءُ وَالنُّزُولُ، هَذِهِ صِفَاتٌ فَعْلِيَّةٌ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «قَرِيبٌ بِالْإِجَابَةِ عِنْدَ السُّؤَالِ»: هَذِهِ الْفَقْرَةُ يَشْهَدُ لَهَا قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فهو قريبٌ من النَّاسِ بعلمه وإحاطته وهيمته، بائنٌ منهم بذاته، عالٍ بذاته على عرشه، وعرشه فوق سماواته، وعلمُه بكلِّ مكانٍ، والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).



الآجال

وَالْحَلْقُ مَيِّتُونَ بِأَجَالِهِمْ عِنْدَ نَفَادِ أَرْزَاقِهِمْ، وَأَنْقِطَاعِ آثَارِهِمْ.



الشرح

أَقُولُ: كُلُّ يَمُوتُ بِأَجَلِهِ، هَذَا يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَهَذَا يُقْتَلُ، وَهَذَا يُلْدَغُ، وَهَذَا يَمُوتُ بِحَادِثٍ مُرُورِيٍّ، وَهَكَذَا كُلُّ لَهْ مَا قُدِّرَ لَهُ؛ لَكِنْ هَذَا السَّبَبُ قُدِّرَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَلَا يَتَعَدَّاهُ أَبَدًا.

وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. فَاللَّهُ ﷻ يَعْلَمُ أَنَّكَ فِي يَوْمِ غَدٍ^(١) الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الثَّانِي فِي سَنَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلَاثِ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ يَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَأْكُلُ كَذَا، أَوْ سَتَشْرَبُ كَذَا، أَوْ سَتَمْشِي إِلَى كَذَا، هَذَا كُلُّهُ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، وَيَعْلَمُ مَتَى تَكُونُ نَهَايَتُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟

(١) لِأَنَّ الدَّرْسَ كَانَ فِي الْيَوْمِ الْعِشْرِينَ، مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الثَّانِي، سَنَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلَاثِ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

فعندما تنتهي أرزاقك وينتهي أثرك (أي: الخطوات التي ستخطوها إذا انتهيت) جاءك الموت، وإذا متَّ، عندئذٍ تقوم قيامتك أيها الإنسان.

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَيْفَ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ وَالْمَسِيءِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ^(٢)، وَهَكَذَا، ثُمَّ بَعْدَ

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة، استُصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لِدَّة، مات سنة اثنتين وسبعين. و«لِدَّة»: أي: وُلِدَا في عام واحد.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَيَّ رُؤُوسُنَا الطَّيْرِ، وَفِي يَدِهِ عَوْذٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا، وَقَالَ: «وَلِأَنَّهُ لِيَسْمَعَ خَفَقَ نَعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟». قَالَ هِنَادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ: وَمَا يَدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ». زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. ثُمَّ اتَّفَقَا. قَالَ: فَيَنَادِي مَنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيئِهَا». قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدُّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ»، فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَنَادِي مَنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا». قَالَ: «وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُعَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكُمْ مَعَهُ مَرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ

الموت ماذا يَكُونُ في القَبْرِ؟

القبر منزلةٌ بين منزلتين، الإنسان يكون حملاً، ثمَّ يُوَلَدُ فيكون طفلاً، ثمَّ بعد ذلك يُنْطَمَ وهو ما زال في الطُّفولة، ثمَّ يكون غلاماً مراهقاً، ثمَّ يكون محتلماً، ثمَّ بعد ذلك يكون مُكَلَّفًا، ثمَّ شاباً، ثمَّ كهلاً، وهكذا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

فهذه الأطوار التي يمرُّ بها الإنسان منها ما يكون وقت الإعداد، كالطفل يكون حينئذٍ يعدُّ لحياته، ولهذا يدرس الأطفال في حال الطُّفولة، وَمَنْ يَسِّرَ اللهُ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ الْخَيْرَ خَيْرًا، وَمَنْ قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ الشَّرَّ - والعياذ بالله - خرج شَرِّيرًا.

ثمَّ بعد ذلك يَكُونُ شاباً، ثمَّ كهلاً ثمَّ يموت، هذه مراحل في الحياة، وبعدها الموت، وبعد الموت البرزخ، وهو وسطٌ بين الدُّنيا والآخرة (فاصلٌ)، لكن يلاقي فيه العبد ما سيلقاه بعد قيام القيامة، يلاقي بعضه أهل الشَّقَاء، يَلْقَوْنَهُ فِي قُبُورِهِمْ، وَفِي الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ يَلْقَوْنَ - والعياذ بالله - من العذاب ما يَلْقَوْنَ.

ويكون ذلك من مُقَدِّمَاتِ الْعَذَابِ الْآخِرِيِّ كَمَا فِي حَدِيثِ سَمْرَةَ^(١)

لصار تراباً». قال: «فيضربه بها ضربةٌ يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثَّقَلَيْنِ، فيصير تراباً».

قال: «ثمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»، وصححه الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحٍ وَضَعِيْفٍ سَنَّ أَبِي دَاوُدَ». (١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، حليف الأنصار، صحابي مشهور، له أحاديث، مات

الَّذِي فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟». قُلْنَا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلْبُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ. - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: - إِنَّهُ يَدْخُلُ ذَلِكَ الْكَلْبُوبُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مَضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ، أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ الْحَجْرُ، فَانْطَلِقُ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ. قُلْتُ: مِنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقِيبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ صَيِّقٌ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عِرَاءٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ - قَالَ يَزِيدُ وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ - وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ

بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ.

(١) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْجَعْفِيِّ مَوْلَاهُمْ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ، جَبَلُ الْحَفْظِ وَإِمَامُ الدُّنْيَا فِي فِقْهِ الْحَدِيثِ، وَلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَمِئَةً، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَلَهُ اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً.

حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمي في فيه بحجر، فيرجع كما كان. فقلت: ما هذا؟ قال: انطلق.

فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نارٌ يُوقدها، فصعد بي في الشجرة وأدخلني داراً لم أَر قطُّ أحسن منها، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصبيانٌ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلني داراً هي أحسن وأفضل، فيها شيوخٌ وشبابٌ، قلت: طوفتmani الليلة فأخبراني عما رأيت.

قالا: نعم، أما الذي رأيته يشقُّ شذقه فكذابٌ يُحدِّث بالكذبة فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يُشدخ رأسه، فرجلٌ علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر أكلو الربا.

والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله، فأولاد الناس، والذي يُوقد النار مالكٌ خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل؛ فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقني مثل السحاب، قالوا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالوا: إنه بقي لك عُمرٌ لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك». اهـ^(١).

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

وفي القبر يكون سؤالٌ نكيرٍ ومنكرٍ: مَنْ رَبُّكَ؟ ما دينك؟ ما هذا الرَّجُلُ
الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

وكذلك الضَّغْطَةُ فِي الْقَبْرِ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ
الْقَبْرِ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدٌ^(١) بِنِ مَعَاذٍ^(٢)». وَهَذَا حَدِيثٌ -فِي مَا أَعْلَمُ- صَحِيحٌ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.



(١) هُوَ سَعْدُ بِنِ النِّعْمَانِ الْأَنْصَارِيِّ، الْأَشْهَلِيُّ، أَبُو عَمْرٍو، سَيِّدُ الْأَوْسِ، أَسْلَمَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ
عَلَى يَدِ مِصْعَبِ بِنِ عَمِيرٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وَاسْتَشْهَدَ مِنْ سَهْمِ أَصَابِهِ بِالْخَنْدَقِ سَنَةَ خَمْسٍ مِنْ
الْهِجْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥٥/٦) (٢٤٣٢٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٦٩٥).



النشور والحساب

وَبَعْدَ الْبَلَىٰ مَنْشُورُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَحْشُورُونَ، وَلَدَىٰ الْعَرْشِ عَلَيْهِ مُحَاسِبُونَ، بِحَضْرَةِ الْمَوَازِينِ، وَنَشْرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسَّوَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ ﷻ الْحَاكِمَ بَيْنَ خَلْقِهِ^(١)؛ لَكِنَّهُ اللَّهُ يَلِي الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ بِمِقْدَارِ الْقَائِلَةِ فِي الدُّنْيَا^(٢)، وَهُوَ

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. قال الشوكاني في فتح القدير (٥/٣٥٧): «يعني: أن مقدار الأمر فيه لو تولاه غير الله سبحانه خمسون ألف سنة، وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة، وقيل: إن مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار، ثم يستقر بعد ذلك أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وقيل: إن مقدار يوم القيامة على الكافر خمسون ألف سنة، وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر...» [عزون].

(٢) أخرج الحاكم في «المستدرک» (١/٨٤)، ومن طريقه البيهقي كما في «نهاية ابن كثير» (١/٢٣٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٤/٣٣٧)، كما في «الصحيحة» (٥/٥٨٤) عن سويد ابن نصر: حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «يوم القيامة كقدر ما بين الظهر والعصر». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، إن كان سويد بن نصر حَفِظَهُ عَلَىٰ أَنَّهُ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَلِيمٍ: أَنَّ أَبَا الْمُؤَجَّجَةَ: أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَبِي أَوْفَى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ... فَذَكَرَهُ. مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ». قال العلامة الألباني رضي الله عنه في «الصحيحة» (٥/٥٨٤):

أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ كَمَا بَدَأَهُ لَهُمْ مِنْ شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ يَوْمَئِذٍ يَعُودُونَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.



الشرح

أقول: هذه الخليقة لها أجل، تمضي أيام الدنيا شيئاً فشيئاً حتى تنتهي، فإذا انتهت أيام الدنيا، أمر الله ﷻ إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الفزع، فتطول، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾^(١) [ص: ١٥].

ثم بعدها نفخة الصَّعَقِ الَّتِي يَمُوتُ النَّاسُ بَعْدَهَا، وَهَذِهِ النَّفْخَةُ الَّتِي يَمُوتُ بِهَا كُلُّ حَيٍّ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَأْتِي تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾^(٢) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

«ووافقه الذهبي على ما قال، وأرى أن الموقوف في حكم الرفع، بل هو أوضح وأبين، والله أعلم، لكن سويد ليس على شرط الشيخين، وإن كان ثقة، وهو رواية ابن المبارك». [عزون].

(١) الفواق فسر بتفسيرين: ١- قيل بضم الفاء، أي: بقدر ما بين الحلبتين للناقة. ٢- وبفتح الفاء، أي: راحة.



ثمَّ بعد ذلك يكون ما يكون من الأحداث من نَسْفِ الجبالِ، وطَيِّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِينَ، ثمَّ يأمر الله السَّمَاءَ فتمطر، فتمطر على الأرض مطرًا كمنِّي الرِّجالِ، فينبت النَّاسُ في قبورهم كما ينبت البقل، فإذا تكاملوا وجاء وَعْدُ البعثِ عندئذٍ يأمر الله عِبْرَةَ إِسْرَافِيلَ فينفخ في الصُّورِ بعد أن تُجمَع له الأرواح في فوهته، فتطير الأرواح إلى أجسادها، كلُّ روحٍ تعرف جَسَدَهَا أين كان، وتذهب إليه فتدخل فيه.

ثمَّ يقومون من قبورهم حين تنشقُّ عنهم الأرض، وحينئذٍ يَتَّجِهون إلى أرض المحشر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]. الله أكبر، فيجتمعون للحكم بينهم في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقفون فيه موقفًا طويلًا، وهو الَّذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

ثمَّ يمشي المؤمنون بعضهم في بعضٍ، فيقولون: اذهبوا إلى مَنْ يشفع لكم إلى ربِّكم، فيذهبون إلى آدم، ثمَّ إلى نوح، ثمَّ إلى إبراهيم، ثمَّ إلى موسى، ثمَّ إلى عيسى، ثمَّ إلى مُحَمَّدٍ - صلوات الله وسلامه عليهم - وكلُّهم يحيل إلى الآخر.

فإذا جاؤوا إلى النَّبِيِّ ﷺ قال: «أنا لها، أنا لها، فيذهب إلى ربِّه، ويسجد بين يديه قَدْرَ جمعةٍ، ثمَّ يقول: رَبِّي، أُمَّتِي أُمَّتِي»^(١). وحينئذٍ يأمر الله بفصل القضاء.

(١) حديث الشفاعة: أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

ويقع ما ذُكِرَ فيه من تطايرِ الصحف، فأخذُ كتابه بيمينه، وأخذُ كتابه بشماله، وتوزن الأعمال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٢-١٠٤]، وليس بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنة أو النار، وبالله التوفيق.





الجنة

وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ يَتَمَتَّعُونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَاتِ يَتَلَذَّذُونَ،
وَبِأَفْضَلِ الْكَرَامَاتِ يُخْبِرُونَ.



الشرح

أقول: الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب
بَشَرٍ^(١).

الجنة مَنْ دخلها يحيا فلا يموت، يصحُّ فلا يسقم، يشبُّ فلا يهرم، ينعم
فلا ييأس^(٢).

(١) أخرج البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾».

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ يدخل الجنة ينعم لا ييأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

الجَنَّةُ ما هي إلا ريحانةٌ تهتزُّ، ونهرٌ مطردٌ، وثمرَةٌ ناضجةٌ، وقصرٌ مشيدٌ، وامرأةٌ حسناء، وحبورٌ لا يشبهه حبورٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَلْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَنَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

ما هو ثمن هذه الجنة؟ ثمنها طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

هذا هو ثمن الجنة، وهذا هو السبب الموصول إليها، أمّا مَنْ أطاع فلانًا وفلانًا، وتابع فلانًا وعلانًا في معصية الله ﷻ، فإنه سيندم يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّبُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ يَتَوَلَّوْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

يُقَالُ لك يا عبد الله: اتَّبِعْ كتاب الله، اتَّبِعْ سُنَّةَ رسول الله ﷺ، اتَّبِعْ السلف الصالح من التابعين وأتباع الأتباع من أصحاب القرون الثلاثة التي زكَّاهَا نبيُّ الهدى وقائد العُرِّ المُحجَّلين إلى الجنة، فتقول: لا، وتعرض من أجل أن تتبع أصحاب البدع على بدعهم، وأصحاب الضلالات على ضلالاتهم، ألا تعلم أن المتحايين يوم القيامة والأتباع والمتبوعين والقادة والمرؤوسين يلعن بعضهم بعضًا، والولاية تنقلب



عداوة، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾
[الزخرف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ
لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]، والآيتان بعدها من سورة سبأ (٣٢-٣٣).

فاتق الله في نفسك يا عبد الله، وتابع الحق تنجو وترشد، وتنال في الجنة
أحسن مقعد، وبالله التوفيق.



الرؤية

فَهُمْ حِيَتِيذٍ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْظُرُونَ، لَا يُمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا يَشْكُونَ،
فَوُجُوهُهُمْ بِكَرَامَتِهِ نَاصِرَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ بِفَضْلِهِ إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ وَ﴿ لَا
يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ
وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]. وَأَهْلُ
الْجَحْدِ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ^(١)، وَفِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ لِبَأْسٍ مَا قَدَّمْتِ
لَهُمْ أَنفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠].
وَ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ
عَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦] إِلَّا مَنْ شَاءَ مِن
الْمُؤَحَّدِينَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا.



(١) عن المزني قال: سمعت إبراهيم بن هرم القرشي يقول: «سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴾^(١٥) [المطففين: ١٥]: فلما حجبتهم في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا. فقال له أبو النعيم القزويني: يا أبا إبراهيم، به تقول؟ قال: نعم، وبه أدين. فقام إليه عصام، فقبل رأسه، وقال: يا سيد الشافعيين، اليوم بيضت وجوهنا. أورده المقرئ في كتاب «المقفى الكبير» (٣٤٦/٥)، وأورده مختصراً البيهقي في «مناقب الشافعي» (٣٥٣/٢). [عزون].



الشرح

أقول: المؤمنون ينظرون إلى ربهم نظرَ تَلَذُّذٍ ونعيمٍ كما جاء في الحديث: «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السَّلَامُ عليكم يا أهل الجنة. قال: وذلك قول الله: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النِّعيم ما داموا ينظرون إليه حتَّى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»^(١).

هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة مُستدلين بالآيات الدَّالَّة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. الأوَّلَى من النَّصَارَةِ، وهي الحسن والبهاء، والثانية من النَّظَرِ.

في نعيمٍ دائمٍ مقيمٍ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿أَكُلُوا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

هذه عاقبة المؤمنين الموحِّدين المُتَّبِعِينَ لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ المُتَّبِعِينَ لِسَلْفِ الْأُمَّةِ، الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

أما أهل الجَحْدِ، فقد أفصح عنهم بقوله: «وأهل الجَحْدِ عن ربهم يومئذٍ محجوبون، وفي النار يُسَجَّرُونَ، أي: يحرقون ويعذبون: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ

(١) أخرجه ابن ماجة (١٨٤)، وضعفه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «صحيح وضعيف سنن ابن ماجة».

لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ [المائدة: ٨٠].

خالدون دائماً أبداً مؤبداً ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

قال: «خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها»: صحّت الأخبار بالتواتر أنّ الموحدين، منهم من يعفو الله عنه فيدخله الجنة بدون عذاب، ومنهم من يدخل النار فيموتون موتة، فيأتي الشافعون فيدخلون عليهم فيجدونهم قد احترقوا حتى صاروا حمماً^(١)، فلا يعرفونهم إلا بمواضع السجود^(٢)، وحرام على مواضع السجود أن تأكلها النار.

ومواضع السجود سبعة: الجبهة، والأنف، والكفان، والرُكبتان، وأطراف القدمين، هذه مواضع السجود السبعة حرام على النار أكلها، وبالله التوفيق.



(١) معنى حديث صحيح أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٤).



طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم

وَالطَّاعَةُ لِأُولِي الْأَمْرِ فِيمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عِبْرَةً لِمَنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مُسْخِطًا، وَتَرَكَ الْخُرُوجَ عِنْدَ تَعَدِّيهِمْ وَجَوْرِهِمْ، وَالتَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ عِبْرَةً كَيْمَا يَعْطِفُ بِهِمْ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ^(١).



الشرح

أقول: إنَّ طاعة وُلاة الأمور في الحقِّ واجبةٌ، ويحرم عصيانهم إذا هم

(١) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٥٧٨/٢): «وَأَمَّا لُزُومُ طَاعَتِهِمْ، وَإِنْ جَارُوا؛ فَلِأَنَّهُ يَتَرْتَبُ عَلَى الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَفَاسِدِ أضعاف ما يحصل من جَوْرِهِمْ؛ بل الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإنَّ الله تعالى ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلى الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم». [عزون].

أمروا بما أمر الله به من الحق، لكن إذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، هكذا يقول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

قال المؤلف رحمه الله: «وترك الخروج عند تعدّيهم وجورهم، والتوبة إلى الله عز وجل كما يعطف بهم على رعيتهم»:

الخروج على ولاة الأمور مُحَرَّمٌ، وَقَدْ وردت فيه أحاديثٌ صحيحةٌ وصریحَةٌ، منها:

١- في «صحيح مسلم»^(٢)، عن نافع^(٣) قال: جاء عبد الله بن عمر^(٤) رضي الله عنهما إلى عبد الله بن مطيع^(٥) حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية^(٦)، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادةً، فقال: إنني لم آتكم

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧٠/١٨) (١٥٠٩١)، وصححه الألباني رحمه الله في «المشكاة» (٣٦٩٦).

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسن، أحد الأئمة، من حفاظ الحديث، صاحب «الصحيح» الذي هو تلو «صحيح البخاري» عند أكثر العلماء، مات سنة إحدى وستين ومئتين، وله سبع وخمسون سنة.

(٣) هو نافع مولى ابن عمر، أبو عبد الله المدني، أصله من بلاد المغرب، أحد الثقات النبلاء، والأئمة الأجلاء، قال البخاري: «أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر». مات سنة سبع عشرة ومئة على المشهور.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني، له رؤية، وكان رأس قريش يوم الحرة، وأمره ابن الزبير على الكوفة، ثم قُتل معه سنة ثلاث وسبعين.

(٦) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد، وُلد سنة خمسٍ أو ستٍ أو سبعٍ وعشرين،



لأجلس، أَيْتُكَ لِأَحَدْتِكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

٢- وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ^(٢) عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٣).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٤) عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبِيَّةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبِيَّةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً، فَقُتِلَ، فَقُتِلَتْهُ جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ

=

ولي الخلافة سنة ستين، ليس بأهل أن يُروى عنه، مات سنة أربع وستين.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ، فَكَانَ يُسَمَّى بِالْبَحْرِ وَالْحَبْرِ؛ لِسَعَةِ عِلْمِهِ، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانَ وَسِتِينَ بِالطَّائِفِ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَحَدُ الْعِبَادَةِ مِنَ فَهَاءِ الصَّحَابَةِ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٤ و٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) هو عبد الرحمن بن صخر -على الصحيح- الدوسي الصحابي الجليل، أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة، حافظ الصحابة روى (٥٣٧٤) حديثًا، توفي سنة سبع، وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

مؤمنها، ولا يفني لذي عهدٍ عهده، فليس منِّي ولست منه»^(١).

٤- وعن حذيفة بن اليمان^(٢) قال: «قلت: يا رسول الله، إننا كنا في شرٍّ، فجاء الله بخيرٍ، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: «نعم». قلت: فهل وراء ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: «نعم». قلت: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟ قال: «نعم». قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسي»، قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع»^(٣).

٥- وعن عرفجة^(٤) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ يريد أن يشقَّ عصاكم ويُفَرِّق جماعتكم، فاقتلوه»^(٥).

٦- وعن أبي سعيد الخدري^(٦) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا بُوِيعَ

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) حذيفة بن اليمان: واسم اليمان: حسيل، ويقال: حسل العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، مات في أول خلافة عليّ سنة ست وثلاثين.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٤) عرفجة بن شريح، أو شراحيل، أو شريك، أو ضريح، الأشجعي، صحابي، اختلف في اسم أبيه، روى له مسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٦) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استُصغر يوم أحد، ثم كان أول مشاهده الخندق، روى أحاديث كثيرة، مات =



لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما»^(١).

٧- وعن أم سلمة^(٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»^(٣).

٨- وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٤) عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خيار أئمتكم الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشَرَارُ أئمتكم الَّذِينَ تَبْغِضُونَهُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قالوا: قلنا: يا رسول الله؛ أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»^(٥).

=

بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٢) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، أم سلمة، أم المؤمنين، تزوجها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث. وعاشت بعد ذلك ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين، وقيل: سنة إحدى، وقيل: قبل ذلك، والأول أصح.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٤) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني، أبو حماد، ويقال غير ذلك، صحابي جليل مشهور، شهد مؤتة مع خالد بن الوليد والأمراء قبله، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وسكن دمشق، ومات سنة ثلاث وسبعين.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

٩- وعن عبادة بن الصَّامت عَبْدُكَ^(١) قال: «دعانا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أَنْ بايعنا على السَّمع والطَّاعة في مَنْشَطنا وَمَكْرَهنا، وَعُسْرنا وَيُسْرنا، وأثرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله، قال: «إلَّا أَنْ تَرَوْا كَفْرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان»^(٢).

١٠- وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (٣) الطَّويل مرفوعاً: «وَمَنْ بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»^(٤).

والخروج عليهم ينقسم إلى قسمين:

- ١- خروج فعلي بالسيف، وما في معناه.
- ٢- خروج قولي بأن يتكلم الإنسان في ولاة الأمر، ويقدم فيهم، ويؤذمهم دعوة إلى الخروج عليهم.

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية، قال سعد بن عفير: «كان طوله عشرة أشبار».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المُكثَرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف، على الراجح عند ابن حجر، ورجَّح الشيخ أحمد شاكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه مات سنة خمس وستين بمصر. راجع «تحقيق المسند» (١٨٨/٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

هذا كله لا يجوز؛ لأنَّ الخروجَ القوليَّ سببٌ للخروجِ الفعليِّ، فلا يجوز للعبد أن يعمل شيئاً من ذلك، إن أنكر شيئاً فليكتب كتابه سريةً فيها نصيحةٌ لؤلاة الأمر، وتبراً ذمته عند ذلك، هذا هو العمل الذي ينبغي وهو النصيحة^(١).

أمَّا صنيع المبتدعة، وهو الخروج الفعليُّ بالقول على ولاة الأمر، وغالباً أن ما يقال عنهم لا يثبت إلا القليل منه، حتى وإن ثبت لا يجوز الكلام فيه، ولا إفشائه، ولا الخوض فيه، فإذا رأيت الرجل يقول: فلان من ولاة الأمور فيه كذا وكذا مثلاً، فأعلم أنه على بدعة وضلالة، حتى ولو كان الشيء الذي قاله صحيحاً، والناس لا يسلم أحدٌ منهم من الخطأ، فلا يجوز إفشاء هذا الكلام، ولا نقله، ولا تداوله، كيف والكثير ممَّا يُشاع ويُعلم ويتكلم فيه فئات من الناس من الجهال والطلاب هذا أكثره كذبٌ وافتراءٌ وباطلٌ، وبالله التوفيق.



(١) لما أخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (١٠٩٦) عن عياض بن غنم أنه قال لهشام بن حكيم: «ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدنى الذي عليه»، وصححه الألباني رحمه الله في «ظلال الجنة» (١٠٩٦).

الإمساك عن تكفير أهل القبلة

وَالْإِمْسَاكُ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنْهُمْ فِيمَا أَحَدْتُمْ مَا لَمْ يَبْتَدِعُوا ضَلَالًا، فَمَنْ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا، كَانَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ خَارِجًا، وَمَنْ الدِّينِ مَارِقًا، وَيُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُ، وَيُهَجَرُ وَيُحْتَقَرُ، وَتُجْتَنَبُ غِدَّتُهُ، فَهِيَ أَعْدَى مِنْ غِدَّةِ الْجَرَبِ.



الشرح

نقول: الإمساك عن تكفير أهل القبلة واجب، لا يكفر أحد من المسلمين بذنب ارتكبه، إلا أن يستحلَّ حكمًا مُجمَعًا عليه، فإن كان مُجمَعًا على حلِّه، وحرِّمه، فإنه يكفر بهذا، وإن كان مُجمَعًا على تحريمه، وأحلَّه، فإنه يكفر إجماعًا، كمن استحلَّ الزنا مثلاً، أو شرب الخمر، أو غير ذلك من الأشياء المحرَّمة؛ لكن لو عمل هذا الشيء مرَّاتٍ فإنه لا يجوز أن نُكفِّره، ولا نقول إنه كافرٌ إلا إذا قال: إنَّه يعتقد أن هذا حلالٌ؛ لكن لو استحلَّه استحلالًا فعليًّا فإنَّا لا نُكفِّره.



الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فَسَمَّى الْمُتَقَاتِلِينَ إِخْوَةً مَعَ أَنْ بَعْضُهُمْ يَسْفِكُ دَمَ بَعْضٍ.

وجاء في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِسُكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَمَنْ مَضَى يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ، وَمَنْ مَضَى يَضْرِبُهُ بِعِصْمَتِهِ، وَمَنْ مَضَى يَضْرِبُهُ بِثُوبِهِ، فَلَمَّا انصرفت قال رجلٌ: ما له، أخزاه الله. فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عونَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»^(١).

فَسَمَّاهُ أَخًا مَعَ أَنَّهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، كَمَا فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ، فَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ مَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً، وَلَوْ كَرَّرَهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّا لَا نُكْفِرُهُ بِهَذَا الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا نُكْفِرُهُ لَوْ اسْتَحَلَّ هَذَا الْفِعْلَ.

قول المؤلف: «والبراءة منهم فيما أحدثوا»: المُحْدِثُ تَجِبُ الْبِرَاءَةُ مِنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»^(٢).

والمراد بالمُحْدِثِ: الَّذِي يَأْتِي بِحَدِيثٍ مِنَ الْكِبَائِرِ الْعِظَامِ، وَكَأَنَّهُ يَسْتَحِلُّهُ، فَهَذَا يُتَبَرَّأُ مِنْهُ. وَمِنَ الْإِحْدَاثِ: إِحْدَاثُ الْبِدْعِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

قوله: «ما لم يتدعوا ضلالاً»، أي: مَنْ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ بَدْعَةً، فَإِنَّهُ يُعْتَبَرُ قَدْ ضَلَّ؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

قوله: «فَمَنْ ابْتَدَعَ مِنْهُمْ ضَلَالًا، كَانَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ خَارِجًا، وَمِنْ الدِّينِ مَارِقًا»، أي: لا نقول إنه كافرٌ إلا إذا كانت البدعة مُكْفَرَةً، كالقول بخَلْقِ القرآن، أو نفي الصِّفَات، أو تعطيلها، أو ما أشبه ذلك.

وكذلك مَنْ يَرَى الخُرُوجَ عَلَى وُلاةِ الأَمْرِ، فَإِنَّهُ مَبْتَدِعٌ بَدْعَةً مُضَلَّةً، وَيُعْتَبَرُ مَارِقًا؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢).

قوله: «وَيُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُ، وَيُهْجَرُ وَيُحْتَقَرُّ وَتُجْتَنَّبُ غَدَتُهُ فَهِيَ أَعْدَى مِنْ غَدَةِ الجَرْبِ»:

الظَّاهِرُ أَنَّ المَقْصُودَ: وَتُجْتَنَّبُ مَوَدَّتُهُ أَوْ بَدْعَتُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَخْدُقُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].
والغدة: يمكن أن يُعْبَرَّ بِهَا عَنِ الجَرْثُومَةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.



(١) أخرجه أبو داود في (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٤٦٠٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

الصحابة

وَيُقَالُ بِفَضْلِ حَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ (١) وَأَخِيرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. وَنُنِّي بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهَمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَضَجِعَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَجَلِسَاهُ فِي الْجَنَّةِ.

وَنُتِلُّ بِذِي التُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ (٢) ثُمَّ بِذِي الْفَضْلِ وَالتُّمَيِّ عَالِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

(١) يعني: من هذه الأمة؛ لأن أفضل الخلق هم الأنبياء، وبعدهم أبو بكر ﷺ.

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أبو عبد الله، أبو عمرو، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المبشّرة، أسلم قديماً على يدي الصديق، وهاجر الهجرتين، لم يشهد بدرًا؛ لأنه أقام على ترميض زوجته رقية، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدا، وبايع عنه رسول الله ﷺ يوم الحديبية، تولى الخلافة بعد عمر بموافقة بقية أهل الشورى، واستشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون، وقيل: أكثر، وقيل: أقل.

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي - حيدرة، أبو تراب، أبو الحسين - ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، من السابقين الأولين، ورجح جمع أنه أول من أسلم؛

وَيُقَالُ بِفَضْلِهِمْ، وَيَذْكُرُونَ بِمَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ، وَنُمِسُكَ عَنِ الْحَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فَهُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ، ارْتَضَاهُمُ اللَّهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَجَعَلَهُمْ أَنْصَارًا لِدِينِهِ، فَهُمْ أئِمَّةُ الدِّينِ، وَأَعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.



الشرح

أقول: ترتيب الصحابة:

أولاً الخلفاء الراشدون، ثم بعدهم بقيّة العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ أنّهم في الجنة، وهم: الزبير بن العوام^(١)، وأبو عبيدة بن الجراح^(٢)، وطلحة

فهو سابق العرب، وهو أحد العشرة، تولى الخلافة في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم وعمره خمس عشرة سنة، وقيل: أقل، وقيل: أكثر، هاجر الهجرتين، شهد المشاهد كلها، قتله عمرو بن جرموز سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل.

(٢) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي، الفهري، أمين هذه الأمة، أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة، أسلم قديماً، وشهد بدرًا وما بعدها، مات شهيداً بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة.



بن عبيد الله (١).

وسعد بن أبي وقاص (٢)، وسعيد بن زيد (٣)، وعبد الرحمن بن عوف (٤) رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد هؤلاء العشرة نقول: أفضل الصحابة هم الذين هاجروا الهجرتين: هجرة الحبشة، وهجرة المدينة. وبعد هؤلاء أهل بدر، وبعدهم أهل بيعة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح وقَاتَل، ثم من أسلم بعد الفتح وقَاتَل، ثم صغار الصحابة، هذا ترتيبهم.

قول المؤلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَيُقَالُ بِفَضْلِهِمْ»: أي: مَنْ لَهُ فَضِيلَةٌ فَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ فَضِيلَتَهُ، وَإِلَّا فَصَحْبَتَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ هِيَ فَضِيلَةٌ.

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو محمد المدني، يُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض؛ لكثرة جوده، أسلم قديمًا على أيدي أبي بكر، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستين.

(٢) سعد بن أبي وقاص، مالك بن أهيب، أو وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، أسلم قديمًا، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد بدرًا وما بعدها، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة.

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو ستين.

(٤) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، القرشي الزهري، أسلم قديمًا على أيدي أبي بكر، وهاجر هجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين.

قوله: «ويُذَكَّرُونَ بمحاسن أفعالهم، وتُؤَمِّسُكَ عن الخوض فيما شَجَرَ بينهم»، أي: لا يَجُوزُ أن يغلبَهُ الخوض والتكلم فيما شَجَرَ بين الصَّحَابَةِ؛ لأنَّ ذلك ربَّما قدَّ يَجْرُكُ إلى أن تلوم بعضهم في بعض المواقف، وهم ليسوا بمعصومين.

فالواجب أن يكون مَوْقِفُنَا منهم موقِفَ احترامٍ وإكبارٍ وإجلالٍ وتفضيلٍ، وباللَّهِ التوفيق.





الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج

وَلَا يَتْرُكُ حُضُورَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَصَلَاتُهَا مَعَ بَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفَاجِرِهَا لِأَزْمٍ، مَا كَانَ مِنَ الْبِدْعَةِ بَرِيًّا، فَإِنْ ابْتَدَعَ ضَلَالًا فَلَا صَلَاةَ خَلْفَهُ^(١)، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَدْلٍ أَوْ جَائِرٍ، وَالْحَجُّ.



(١) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/٢٨٠): «إذا ظهر من المُصلي -أي: إمام الصلاة- بدعة أو فجور، وأمكن الصلاة خلف من يُعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يُصحِّحون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد، وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر؛ كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرى فهذه تُصلَّى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة. وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيره، من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم». [عزون].
ثم قال في (ص ٢٨١): «وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يُصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعاً، وجلده عثمان بن عفان على ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يُصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يُصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهمًا بالإلحاد وداعياً إلى الضلال».

الشرح

أقول: هذه الكلمة: «فإن ابتدع ضللاً، فلا صلاة خلفه»، معناها: كفى بالدعوة إلى القول بخلق القرآن ضللاً، وقد وقعت في عهد الأئمة أحمد بن حنبل^(١)، وعلي بن المديني^(٢)، ويحيى بن معين^(٣)، وأبو عبيد القاسم بن سلام^(٤)، والبخاري^(٥)، وإن كان صغيراً حينذاك، وغيرهم من أهل العلم.

ومع ذلك لم ينهوا عن الصلاة خلف من دَعَوْا إلى بدعة القول بخلق القرآن، لم ينه السلف عن ذلك، فإذا كان إماماً فالصلاة وراءه أمرٌ مطلوبٌ؛ لأنَّ ترك ذلك يوجب اختلاف الكلمة، وربما يؤدي إلى التقاتل، وما أشبه ذلك.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن بن المديني البصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتى قال البخاري: «ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني». وقال فيه شيخه ابن عيينة: «كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني». وقال النسائي: «كأنَّ الله خلقه للحديث». مات سنة أربع وثلاثين ومئتين.

(٣) يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، وُلد سنة ثمان وخمسين ومئة، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين بالمدينة النبوية، وله خمس وسبعون سنة.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، أحد أئمة اللغة والفقهِ والحديث والقرآن والأخبار وأيام الناس، وله كتاب «الأموال»، وكتاب «فضائل القرآن ومعانيه»، مات سنة أربع وعشرين ومئتين.

(٥) تقدمت ترجمته.



إِذَا، فالمبتدع إذا كان إمامًا ودعا إلى بدعة فلا يُقال: إِنَّكَ لَا تُصَلِّيَ خلفه مطلقًا، بَلْ إِنْ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَجِدَ مَلَاذًا فَادْهَبْ عَنْهُ مَا أَمَكَّنَكَ، وَإِلَّا فَصَلِّ خلفه، صَلِّ أَوْلَى الصَّلَاةِ فِي بَيْتِكَ، ثُمَّ اذْهَبْ فَصَلِّ مَعَهُ نَافِلَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وهذا خاصُّ بؤلَاةِ الأَمْرِ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «والجهاد مع كلِّ إمامٍ عدلٍ أو جائرٍ والحج»، أقول: الحجُّ بقيادة الإمام هو الَّذِي حصل من أئمة الإسلام، فرأوا ذلك، سواءً كان الإمام عادلاً أو جائراً، فالزكاة تُدْفَعُ إليه، والجهاد تحت لوائه، والصلاة وراءه، والحج بقيادةه، كلُّ هذا لازمٌ لمن تحت يده^(١)، وبالله التوفيق.



(١) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٥٩١/٢) عند قول الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين؛ برَّهم وفاجرهم - إلى قيام الساعة، لا يُبطلها شيء ولا ينقضها» - فقال ابن أبي العز: «لأنَّ الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر - يحصل بالإمام الفاجر». [عزون].

قصر الصلاة والاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار

وَإِقْصَارُ الصَّلَاةِ فِي الْأَسْفَارِ، وَالْاِخْتِيَارُ فِيهِ بَيْنَ الصَّيَامِ وَالْإِفْطَارِ فِي الْأَسْفَارِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ.



الشرح

أقول: القصر: سُنَّةٌ، وليس بواجبٍ، ولا بشرطٍ لصحة صلاة المسافر؛ بل إن المسافر إذا صَلَّى تمامًا فقد أخطأ السُنَّةَ، وصلاته صحيحةٌ.

كذلك الإفطار في الأسفار، فلك أن تصوم، ولك أن تفطر، والفطر أرجح، وإذا حصل على المسافر من الصَّوم مَشَقَّةٌ، كان الصَّومُ مكروهًا.

وإذا كانت المَشَقَّةُ شديدةً قَدْ يصل ذلك إلى تحريم الصَّوم، إذا كان يَخْشَى على نفسه من الاستمرار فيه، ويجب عليه الفطر.

وإذا قرب المجاهدون من العَدُوِّ، ودنا وقت لقاء العَدُوِّ، وجب عليهم



الفطر^(١)، هذا في صيام الفريضة، أمّا صيام التَّطَوُّعِ فالعبد فيه بالخيار؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ حَمِزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيَّ^(٢) عَنِ الصَّيَامِ فِي السَّفَرِ: «إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ»^(٣). وهذا يُخَاطَبُ بِهِ مَنْ لَا يَجِدُ مَشَقَّةً فِي الصَّيَامِ.

فَإِنْ وَجَدَ مَشَقَّةً كَانَ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ الْفِطْرُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»^(٤).

وَإِذَا تَوَلَّى الْمَفْطَرُونَ الْعَمَلَ، وَخِدْمَةَ الصَّائِمِينَ كَانُوا أَكْثَرَ أَجْرًا مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ، فَعَنْ أَنَسٍ^(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَمِنَّا الصَّائِمُ، وَمِنَّا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١١٢٠) عَنْ قَزْعَةَ قَالَ: «أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخَدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مَكْثُورٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، قُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ عَمَّا يَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ عَنْهُ، سَأَلْتَهُ: عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ؟ فَقَالَ: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صَائِمُونَ، قَالَ: فَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ»، فَكَانَتْ رِخْصَةً؛ فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصِيبِحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَأَفْطَرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَصُومُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ».

(٢) حَمِزَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُوَيْمِرِ الْأَسْلَمِيِّ، أَبُو صَالِحٍ، أَوْ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَدَنِيُّ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، شَهِدَ فَتْحَ الشَّامِ، وَكَانَ هُوَ الْبَشِيرُ لِلصِّدِّيقِ يَوْمَ أَجْنَادِينَ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: «هُوَ الَّذِي بَشَّرَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَأَعْطَاهُ ثَوْبِيَهُ». مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَهُوَ إِحْدَى وَسَبْعُونَ. وَقِيلَ: ثَمَانُونَ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٤٣)، وَمُسْلِمٌ (١١٢١).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٤٦)، وَمُسْلِمٌ (١١١٥).

(٥) أَنَسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ، خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ، صَحَابِيُّ مَشْهُورٌ، مَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقَدْ جَاوَزَ الْمِئَةَ.

المفطر. قال: فنزلنا منزلاً في يومٍ حارٍّ، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بيده، قال: فسقط الصُّوَامُ وقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسَقَوْا الرِّكَابَ. فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المُفْطَرُونَ اليوم بالأجر»^(١)، وبالله التَّوْفِيقُ.



(١) أخرجه مسلم (١١١٩)، وأخرجه البخاري بنحوه (٢٨٩٠).



اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات

هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأَفْعَالٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الْمَاضُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى،
وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ اعْتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدْوَةً وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكَلُّفَ فِيمَا كُفُوا، فَسُدُّوا
بِعَوْنِ اللَّهِ وَوَفَّقُوا، لَمْ يَرْغَبُوا عَنِ الْإِتِّبَاعِ فَيَقْصُرُوا، وَلَمْ يُجَاوِزُوهُ تَزِيدًا فَيَعْتَدُوا.
فَنَحْنُ بِاللَّهِ وَاثِقُونَ، وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ رَاغِبُونَ.



الشرح

أقول: ما أحسن هذه الخاتمة التي ختم بها المزني عقيدته! وبأنه رضي
لنفسه بما رضي به القوم لأنفسهم، فقال حاكياً ما سبق ذكره: بأنَّ التَّابِعِينَ قَدْ
اعْتَصَمُوا وَتَابَعُوا مَنْ قَبْلَهُمْ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَتَرَكَوا التَّكَلُّفَ، فَسُدُّوا بِعَوْنِ
اللَّهِ وَوَفَّقُوا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْوَاضِحَةِ
الْمَسَالِكِ، وَبِاللَّهِ نَعْتَصِمُ، وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ، وَنَسْأَلُهُ -جَلَّ شَأْنُهُ- أَنْ يَحْشُرَنَا فِي
رُؤْمَةِ سَلْفِنَا الْمَاضِينَ، وَأَنْ يَدْخُلَنَا مَدْخُلَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، مَعَ مَنْ ﴿أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

المحافظة على أداء الفرائض والرواتب واجتناب المحرمات

فَهَذَا شَرْحُ السُّنَّةِ تَحَرِّيْتُ كَشَفَهَا، وَأَوْضَحْتُهَا؛ فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْقِيَامِ بِمَا
 أَبْتَنَاهُ مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ عَلَىٰ آدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالِاخْتِيَاظِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسْبَاغِ
 الطَّهَارَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَآدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الاستِطَاعَاتِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَى
 أَهْلِ الْجِدَاتِ، وَالْحَجِّ عَلَى أَهْلِ الْجِدَةِ وَالِاسْتِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهْرِ
 لِأَهْلِ الصَّحَاتِ، خَمْسُ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَعْدِ الصَّلَوَاتِ:
 صَلَاةُ الْوَتْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَرَكَعَتِي الْفَجْرِ، وَصَلَاةُ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ، وَصَلَاةُ
 كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا نَزَلَ، وَصَلَاةُ الْاسْتِسْقَاءِ مَتَى وَجَبَ.

وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، وَالِاخْتِرَازِ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغَيْبَةِ، وَالْبَغْيِ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ يُقَالَ عَلَى اللهِ مَا لَا يُعْلَمُ، كُلُّ هَذَا كِبَائِرُ مُحَرَّمَاتٍ.



الشرح

أقول: هذا كلام المزني رَحِمَهُ اللهُ صاحب هذه العقيدة، وَوَصِيَّتَهُ بِتَحَرِّيِ هَذِهِ
 الْعَقِيدَةِ وَالسَّيْرِ عَلَيْهَا، فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ مِنْ



فضل الله عليه، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ تَسَاهَلَ فِي بَعْضِهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ.
وَأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ بِالتَّحَرِّيِّ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى الطَّهَّارَةِ، وَالبَعْدِ عَنِ النَّجَاسَةِ مَا
اسْتَطَاعَ الْعَبْدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، وَالْعَمَلِ عَلَى مَا شَرَعَ فِي
الْغَسْلِ مِنْ غَسْلِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ
بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِسْبَاغُ
الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ
الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ»^(١).

وَأَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْتَرَضَةِ فِي الْمَسَاجِدِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِقَوْلِهِ:
﴿ فِي بُيُوتٍ أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ [النور: ٣٦، ٣٧].

فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَدَاءَهَا فِي الْمَسَاجِدِ فَعِنْدَيْكَ يَجُوزُ لَكَ الصَّلَاةُ فِي الْبَيْتِ،
كَذَلِكَ أَيْضًا الصَّلَاةُ قَائِمًا، وَهَذَا رُكْنٌ فِي الْفَرَائِضِ، لَا تَصِحُّ صَلَاتُكَ فِي
الْفَرَائِضِ قَاعِدًا مَا دَمْتَ قَادِرًا عَلَى الْقِيَامِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ:
﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ فَيَكْمَأَ وَقُوعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ^(٢): «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا،

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر،

فإن لم تستطع فعلى جنب»^(١).

وأنه يأمر بالحرص على أداء الزكاة الواجبة المفروضة على أصحاب الأموال بنصها المعروفة في الشرع، فإن كانت في الورق فهي تجب في مئتي درهم فأكثر، وإن كانت في الذهب فتجب في عشرين مثقالاً فأكثر، وإن كانت في المواشي ففي الإبل ما دون خمس وعشرين في كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومئة ففيها حقتان، فإذا زادت على عشرين ومئة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

وفي الغنم إذا كانت أربعين إلى عشرين ومئة شاة، فإذا زادت على عشرين ومئة إلى مئتين شاتان، فإذا زادت على مئتين إلى ثلاث مئة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلاث مئة ففي كل مئة شاة.

وفي البقر في ثلاثين منها تبيع أو تبعه، وفي أربعين مسنة، ثم في كل ثلاثين تبيع، وفي كل أربعين مسنة.

وتجب الزكاة في الحبوب كلها إذا بلغت خمسة أوسق.

وشهد غزوات، وكان من سادات الصحابة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

(١) أخرجه البخاري (١١١٧).



والحجُّ واجبٌ على أهل الاستطاعة بوجود الزاد والراحلة ووجود النفقة لأهله إلى أن يعود.

وصومُ شهر رمضان فرضٌ واجبٌ على مَنْ قَدَّرَ عليه حال كونه سليمًا من الأمراض ومقيمًا بين الأهل.

وأَنَّهُ يُوصِي بِصلاة الوتر، وصلاة الليل، والمحافظة عليها كل ليلة، والمحافظة على ركعتي الفجر، وصلاة العيدين (عيد الفطر، وعيد النحر)، وصلاة كسوف الشمس والقمر، وصلاة الاستسقاء إذا أمر بها الإمام، أو بدت الحاجة إليها.

وأَنَّهُ يُوصِي بِاجتناب المحارم (أي: المُحرَّمات) من فروجٍ مُحرَّمةٍ، وأموالٍ مُحرَّمةٍ، لا يجوز أن تُسَبَّحَ الفروج بالزنا، ولا الأموال بالسَّرقة، والنَّهب، أو الغشِّ، أو بالكذب والدَّجل والتَّضليل.

وأَنَّهُ يَرَى تحريم النَّميمة والكذب والغيبة والبغي بغير الحقِّ، وينهى أن يقول العبد على الله ما لا يعلم؛ لأنَّ الله قرَنَ القول عليه بلا علم بالشُّرك به، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ويُوصِي بِأَنَّ هَذِهِ كَلِّهَا كِبَائِرُ مُحرَّماتٍ، يجب تَجَنُّبُهَا، والبعد عنها، وبالله التَّوفيق.



تحري الحلال واجتناب الشبهات

والتَّحَرِّي فِي الْمَكَاسِبِ، وَالْمَطَاعِمِ، وَالْمَحَارِمِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ،
وَاجْتِنَابِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ الْمُحَرَّمَاتِ.

فَمَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَى؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ الْحِمَى، فَمَنْ يُسِّرْ لِهَذَا فَإِنَّهُ
مِنَ الدِّينِ عَلَى هُدًى، وَمِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى رَجَاءٍ، وَوَقَّفَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَى سَبِيلِهِ
الْأَقْوَمِ، بِمَنِّهِ الْجَزِيلِ الْأَقْدَمِ، وَجَلَالِهِ الْعَلِيِّ الْأَكْرَمِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ
اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَعَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَلَا يُتَأَلَّ سَلَامُ اللهُ الضَّالِّينَ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

نَجَزْتُ هَذِهِ الرَّسَالََةَ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَسَلَّمْ كَثِيرًا كَثِيرًا.



الشرح

أقول: الواجب على الإنسان أن يتحرى في المكاسب، فيقدم على
الحلال البين حله، ويترك الحرام والمشتبه، فالتحرى في المكاسب

والمطاعم والمشارب والملابس كل ذلك من الورع الذي أوجبه الله على عباده المؤمنين.

وكذلك اجتناب المحرمات كما قد سبق.

قول المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والمحارم»: يقصد به: الزواج.

قوله: «اجتناب الشهوات، فإنها داعية لرُكُوب المحرمات»، يعني: تجنّب هذه الأشياء، فإنك إذا تمسّيت معها، أوردك الشيطان بها المهالك.

قوله: «فمن رعى حول الحمى؛ فإنه يوشك أن يواقع الحمى»، وأقول: نعم، كما في حديث النعمان بن بشير^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنّ الحلال بينٌ، وإنّ الحرام بينٌ، وبينهما مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهنّ كثيرٌ من النّاس، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبُهَاتِ وقع في الحرام، كالرّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنّ لكلّ ملكٍ حمى، ألا وإنّ حمى الله محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّهُ، ألا وهي القلب»^(٢).

فاجتناب الشُّبُهَاتِ مأمورٌ بها، وما أكثر الشُّبُهَاتِ في زماننا هذا، وبالأخصّ

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، له ولأبويه صحبة، وكان أول مولود وُلد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار في جمادى الأولى سنة اثنتين من الهجرة، ولي إمرة الكوفة، ثم سكن الشام، وولي قضاءها، قُتل بحمص سنة خمس وستين، وله أربع وستون سنة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

في البيوعات البنكية، فينبغي احتراز المسلم عن كل ما شك في حله، ولو لم تتبين حرمة، فإنه بذلك يحتاط لدينه، ويجعل بينه وبين المحرمات حاجزاً، وهو الشبهات، فإنه إذا اجتنب الشبهات، اجتنب المحرمات، وإذا وقع في الشبهات وتساهل فيها، فإنه يوشك أن يقع في المحرمات.

ثم قال رحمه الله: «فمن يسر لهذا، فإنه من الدين على هدى، ومن الرحمة على رجاء»:

اللهم يسرنا لكل خير، وجنبنا كل شر وضير، أنت ولينا والقائم بأمورنا، نسألك أن تدفع عنا جميع الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن تقينا شرها، وتوقفنا للاستقامة على الحق إن ابتلينا بها، بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا وحبينا وقائدنا وقدوتنا وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.





فهرس الموضوعات

الفهرس

٥	المقدمة
٧	ترجمة المزني
١٢	متن شرح السنة للمزني
٢١	مدخل
٢٤	العلو
٢٦	القضاء والقدر
٣٠	الملائكة
٣٢	آدم <small>عليه السلام</small>
٣٥	الجنة والنار
٣٨	الإيمان
٤٢	القرآن
٤٥	الصفات
٤٨	الآجال
٥٤	النشور والحساب
٥٨	الجنة



٦١	الرؤية
٦٤	طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم
٧١	الإسكاف عن تكفير أهل القبلة
٧٤	الصحابة
٧٨	الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج
٨١	قصر الصلاة والاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار
٨٤	اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات
٨٥	المحافظة على أداء الفرائض والرواتب واجتناب المحرمات
٨٩	تحري الحلال واجتناب الشبهات
٩٥	الفهرس

